

بقلم :

د. حسن محمّد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد تلقيت رسالةً عاجلةً مؤرّخةً فى ١٤١١/٩/٢٥هـ من معالى الامين العام لرابطة العالم الاسلامى الدكتور عبد الله عمر نصيف - حفظه الله - يطلب منّى فيها -مشكوراً - الإجابة على الأسئلة المرفقة، وممّا جاء فى الرّسالة: «فقد تلقت الأمانة العامّة للرّابطة من أحد دعاتها فى زائير العليا رسالةً مصحوبةً ببعض الأسئلة المقدّمة له من الندوة الكبرى الأبرشية.

ولأهمّيّة المواضيع التى ستكون مدار بحث فى هذه النّدوة فإنّى أحيل لفضيلتكم هذه الاسئلة، راجياً الإجابة عليها بأسلوبكم المقنع، وموافاتنا بها فى أقرب فرصة ممكنة.

شاكرين ومقدّرين حسن تعاونكم. والله يحفظكم».

ولما كنت حينما تلقيت هذه الرّسالة الكريمة قد قطعت بفضل الله تعالى خطواتٍ واسعة فى دراستى المتأمّلة للسّورة السّادسة عشرة من سور القرآن الكريم، ضمن المشروع الذى بدأته فى مطلع عام ١٣٩٢هـ والذى غطّى حتى الآن ثلث القرآن الكريم وسبعة آلاف صفحة، وهذه السّورة الكريمة هى سورة المائدة، فقد كان علىّ أن أقف فى دراستى المتأملة للسورة الكريمة عند نهاية أحد أقسامها، كى يسهل - بإذن الله تعالى - استئناف الدّراسة المتأمّلة بعد الإجابة - بإذن الله تعالى - على الاسئلة المذكورة.

وحينما ألقيت نظرةً على الاسئلة التى طرحها أساساً بالفرنسيةأحد القسس، تذكّرت على الفور الاسئلة التى انهالت علىّ فى مساء يوم الاحد الثامن والعشرين من شهر مارس عام ألف وتسعمائة وستّةٍ وسبعين ميلاديّة بعد أن

ألقيت بالإنجليزية محاضرةً فى توحيـد الأسماء والصّفات فى كنيسة ST PE-TER'S ANGLICAN CHURCH فى مدينة سدنى بأستراليا، من بين خمسة أساتذة، يمثّل ثلاثة قسس فروع الدّيانة المسيحيّة الكاثوليكية والبروتستانيّة والارثذكسيّة، ويمثّل حَبْرٌ واحدٌ اليّهودية، وأنا - بفضل الله تعالى - ممثّل الإسلام. لقد كان الاتّفاق مع القائمين على شئون الكنيسة أن أجيب بعد المحاضرة على ثلاثة أسئلة. وشاء الله تعالى أن أجيب بإيجازٍ وتركيز على ما لايقلّ عن ثلاثين سؤالًا. لقد كنت آنذاك أستاذاً زائراً مبعوثاً من قبل الملك الرّاحل خالد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً للتّدريس فى قسم الدّراسات السّاميّة بجامعة سدنى فى استراليا للعام الدّراسى ١٩٧٥/١٩٧٦م. لقد ذكّرتنى هذه الأسئلة بالأسئلة التى انهالت علىّ تلك الليلة فى الكنيسة، كما ذكّرتنى بتجربةٍ لطيفةٍ لى فى أثناء إلقائى المحاضرة لانّ أوّل سؤالٍ ألقى علىّ كان متعلقاً بهذه التجربة اللطيفة.

أمّا هذ التّجربة اللّطيفة فهى أن المحاضرة لمّا كانت متعلقةً بتوحيد الأسماء والصّفات، وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول للمحاضرة، وكان رب العزة قد أكرمنى بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فقد كانت تلك المحاضرة فرصة العمر بالنسبة لى كى أرتّل القرآن الكريم ترتيلاً إلى الحد الذى تبيّنت معه أن فريقاً من الحاضرين فى الصّفّ الأول أخذت تدور بهم الكراسى الفخمة بطريقة غير عاديّة. لقد فهمت بعد الانتهاء من الاجابة على الاسئلة وبعد أن تمّ تعريفى بالحضور فى الصّفّ الاوّل بخاصّة، أن أولئك الّذين دارت بهم الكراسى فى أثناء تلاوتى للقرّآن الكريم بخاصّة، والّذين كانوا يرتدون الملابس التى يرتديها بقية الحاضرين، لم يكونوا سوى كبار القسس فى تلك الكنيسة وفى غيرها من الكنائس، ولكنهم غيّروا أزياءهم!

لقد كان أول سؤالٍ ألقاه علىّ كبير القسس - كما عرفت فيما بعد - كان على حسب قوله باسمه وباسم كلّ الحاضرين: لماذا أكثرت من قراءة القرآن الكريم وترتيله ترتيلا ولا يكاد يوجد من بين الحاضرين من يعرف اللّغة العربية كى يفهم معنى ما قرأت من القرآن الكريم؟ لقد كان طارح السؤال

صادقاً فى عدم وجود من يعرف اللّغة العربية رغم الإعلان الواسع عن المحاضرة فلم يكن فى القاعة من المسلمين سواى وسوى زوجتى، ولم يكن فى القاعة ممّن يعرف العربية سوى أحد الأساتذة من قسم الدّراسات السّامية بجامعة سدنى.

أما وقد حقّقت رغبتى من ترتيل القرآن الكريم ترتيلاً، بأكثر ممّا فى نصّ المحاضرة، وذلك فى أثناء إلقاء المحاضرة، فقد كان علىّ فى الجواب أن أبيّن الحكمة من وجوب سماع القرآن الكريم فى لغته العربيّة التى نزل بها وهى أنّ التّرجمة لمعانى القرآن الكريم، مهما تكن دقيقة فى نقل المعانى، فإنها عاجزةٌ عن نقل شيٍ من ظاهرة تلاؤم الاصوات التى يشعر بروعة جمالها من يستمع للقرآن الكريم وينصت له ولو لم يعرف لغته العربيّة.

لقد عرفت فيما بعد أن وقع جوابى على السّائل وعلى الذين يشاركونه السّؤال مثل وقع ترتيلى القرآن الكريم فى أثناء إلقاء المحاضرة وأعجب ما فى الامر أنّى بعد عدّة أيام تلقّيت رسالةً محولةً إلىّ من إدارة الجامعة ومبعوثةً من إدارة تلك الكنيسة يطلبون منّى فيها - بعد إزجاء الشكر الجزيل لى على محاضرتى السابقة - أن ألقى عليهم محاضرة أخرى!

لقد كنت وقتها أهيّىء نفسى للعودة الى المملكة العربية السعودية فاعتذرت ووعدت بتلبية الرغبة - بإذن الله تعالى - مستقبلاً.

لقد اعتذرت لانّ الوقت لم يكن كافياً لاعداد محاضرة ألقيها باسم الإسلام على غير المسلمين، فقد استغرق منّى إعداد المحاضرة السابقة التى ألقيتها فى زهاء نصف الساعة وخمس دقائق، وإعداد العدّة لكل سؤالٍ محتمل يلقيه شخصٌ مسلم أو غير مسلم زهاء ثلاثة شهور.

بقى علىّ أن أقول إن الوقت الذى استغرقته الاجوبة على الاسئلة فى هذه الصفحات هو أقلّ من الوقت الذى استغرقه الإعداد لتلك المحاضرة وملابساتها. ووراء هذا التفاوت فى الوقتين سببٌ، وهو أنّ قارّة استراليا فقيرة فى المصادر الإسلاميّة، وكانت الاتّصالات - آنذاك - بين قارة أستراليا وبين المملكة

العربية السّعودية بطيئةً الى أبعد الدرجات، فقد كان كلٌّ من البلدين عالماً جديداً بالنسبة للآخر. إنّى – بسبب شحّ المصادر – كنت بعد صلاة الجمعة أطوف فى المسجد الجامع وأسأل عن كتبٍ بعينها، وكانت الأجوبة دائماً فى تزويدى بكتبٍ غير تلك التى طلبت، أمّا بالنسبة لكتابة هذه الصفحات فإن الوضع مختلف، إنّ المكتبة الخاصّة – بفضل الله تعالى – عامرة، فكيف بالمكتبات العامّة وسواها.

وبعد هذا الحديث ذى الشجون – كما يقولون – لا أملك فى نهاية هذه المقدّمة إلا أن أشكر لرابطة العالم الإسلامىّ وعلى رأسها معالى الامين العامّ الدكتور عبد الله عمر نصيف – حفظه الله – هذه الثقة الغالية التى أولتنى إياها بأن أجيب على هذه الاسئلة التى تومىء إلى ما يشابهها من أسئلةٍ عن الإسلام تدور فى أذهان غير المسلمين، الباحثين عن الحقّ منهم وغير الباحثين. سائلا الله تعالى أن يأخذ بأيدينا الى أقوم سبيل وأن يوفقنا الى امتثال أمره جل وعلا فى قوله عز من قائل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وأن يعفو عزّ وجلّ عما بدر منّا من تقصير إنه جل وعلا نعم المولى ونعم النصير.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا. ربنّا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به. واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ (سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون. وسلامٌ على المرسلين. والحمد لله ربّ العالمين﴾.

وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمّد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

مكة المكرمة
صبيحة يوم الأحد ١٩/١١/١٤١١هـ
الموافق ٢/٦/١٩٩١م



سؤال رقم

١

ما هي الظروف التي ولد فيها الإسلام ؟
أو ما هي أسباب ظهور الإسلام ؟

الإسلام بمعنييه العام والخاص

إن أول ما نود أن نقرره هو أن الله سبحانه وتعالى إنما بعث كل رسله، ابتداءً بنوح عليه السلام، وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، بالإسلام أو بدين الإسلام. والإسلام معناه الاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك. جاء خطاباً للمصطفى ﷺ فى سورة الانبياء[١] قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ وقد بعث الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الاخيرة من دين الإسلام لله رب العالمين. وهذه الصورة الاخيرة من دين الإسلام ناسخةٌ لكل صورةٍ أخرى سابقة، ثم إن هذه الصورة الاخيرة من دين الإسلام التى بعث الله تعالى بها محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وجعل معجزتها فريدةً بين معجزات سائر النبيين لأنها وحدها هى التى تجمع بين المنهج والمعجزة معاً، هذه الصورة الأخيرة من دين الإسلام، استأثرت دون سواها من الصور بلفظ الإسلام. وهكذا يتبين أن لفظ الإسلام له معنيان اثنان، عام يشمل كل دين بعث الله تعالى به رسولاً من رسله ونبياً من أنبيائه، وخاصٌ يتعلق بالصورة الاخيرة من هذا الدين التى بعث الله تعالى بها محمد بن عبد الله ﷺ. واللطيف فى الأمر أن استعمال لفظ الإسلام بمعناه الخاص أكثر من استعماله بمعناه العام.

وإن هذا القول الموجز بحاجةٍ الى شيءٍ من البسط.

كان آدم وحوّاء عليهما السلام فى الجنة. وشاء الله تعالى أن يهبط هو وزوجه الى الارض. قال تعالى: ﴿**قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون**﴾[٢] وقد تكوّن من ذرية آدم وحواء عليهما السلام أمةٌ واحدةٌ تعبد الله تعالى وحده لا شريك له، ثم اختلفت هذه الأمة وتفرقت بها السبل عن سبيل الحق جلا وعلا، فظهرت الحاجة الى بعث نبى كى يعيد الأمة الى صراط العزيز الحميد بإذن الله تعالى. وتظل تعاليم ذلك النبى الكريم قائمةً بدورها لفترةٍ ما، ثم يأخذ تأثيرها فى تلك الأمة يقل بمرور الوقت حتى ينعدم أو يكاد ينعدم، فتجدّ الحاجة لبعث نبيٍ وإرسال رسولٍ وإنزال كتاب[٣] ولما بلغت الإنسانية مرحلة الرشد التى تلائمها الرسالة الخاتمة، بعث الله تعالى

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥.
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٥.
(٣) سار المسيحيون – مثلا – قرابة ثلاثمائة سنة على خطوات المسيح ثم بدلوا. انظر هداية الحيارى لابن القيم ١٤٢

محمد بن عبد الله ﷺ بها، والتى يناسبها الكتاب الخاتم، فأنزل الله تعالى القرآن الكريم معجزة هذا الدين الكبرى الخالدة الى يوم الدين. قال تعالى: **﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾**(١).

ومعنى القول: **﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين﴾** كان الناس أمةً واحدةً موحدةً مسلمةً لله رب العالمين فاختلفوا فبعث الله تعالى النبيين. جاء فى سورة يونس قوله تعالى: **﴿وما كان الناس إلا أمةً واحدةً فاختلفوا﴾**(٢).

وكان نوحٌ عليه السلام أول رسل الله تعالى، وكان محمد بن عبد الله ﷺ آخر رسل الله تعالى. وهذان الرسولان الكريمان من أولى العزم من الرسل الخمسة. وهم مرتبون زمناً على النحو التالى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. والى هؤلاء الخمسة أشار قوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب﴾**(٣) ولما كان الحديث عن دين الإسلام، وقد بعث الله تعالى به نوحاً عليه السلام أولاً، فقد جاء ذكر نوح عليه السلام من أجل ذلك ابتداءً، ثم تحول الحديث الى ذكر محمد بن عبد الله ﷺ، باعتباره زعيم أولى العزم من الرسل، ثم عاد الحديث الى ذكر البقية منهم مع مراعاة ترتيبهم الزمنى. وحينما يكون الحديث فى القرآن الكريم عن النبيين ثم عن أولى العزم منهم يبدأ الحديث بخاتمهم وأشرفهم محمد بن عبد الله ﷺ وذلك فى قوله تعالى من سورة الاحزاب: **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾**(٤) ويلاحظ ان الآيةَ الكريمة بعد الاشارة الى خاتم النبيين تراعى ترتيب بقية أولى العزم من الرسل زمنياً عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه.

(١) سورة البقرة الآية ٢١٣.
(٢) سورة يونس الآية ١٩.
(٣) سورة الشورى الآية ١٣.
(٤) سورة الأحزاب الآية ٧.

الأدلة على الإسلام بمعنييه العامّ والخاصّ

ما أكثر الادلة من القرآن الكريم على الإسلام، بمعنييه الاثنين العام والخاص.

ومن الادلة على استعمال لفظ الإسلام بالمعنى العام سؤال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الله تعالى، وهما يبنيان الكعبة المشرفة، أن يجعلهما مسلمين له جل وعلا، وأن يجعل من ذريتهما أمةً مسلمةً لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيمُ القواعِدَ من البيت وإسماعيلُ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْنِ لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾[1] وإبراهيم عليه السلام يمتثل أمر ربه جل وعلا له بأن يُسْلِم وجهه لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿**ومَنْ يَرْغَبُ عن ملة إبراهيم إلا من سَفِه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾[2] إن الذى يُعرض عن دين إبراهيم عليه السلام هو الذى فعل بنفسه من السَّفه ما صار به سفيهاً. وإبراهيم عليه السلام يوصى بكلمة الإسلام بنيه، كما يوصى بها يعقوب عليه السلام بنيه الذين يعلنون على رءوس الاشهاد، حينما حضرت يعقوب عليه السلام مقدمات الموت وأسبابه وسأل بنيه عن دينهم، يعلنون بأن دينهم الإسلام. قال تعالى: ﴿**ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوبُ يا بَنِيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حَضَرَ يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون**﴾[3].

وإذا كان آدم عليه السلام أبا البشر وكان نوحٌ عليه السلام أول الرسل والأب الثانى للبشر فإن ابراهيم عليه السلام هو أبو الانبياء، لان كل الانبياء بعده من ذريته عليه الصلاة والسلام. إن لابراهيم عليه السلام من الاولاد إسماعيل وإسحاق. وإن كل أنبياء بنى اسرائيل من ذرية اسحاق عليه السلام عن طريق يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام، وإن موسى عليه السلام كبير أنبياء بنى إسرائيل، وإن عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل. وليعقوب عليه السلام اسمٌ آخر هو إسرائيل، وله

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ و ١٢٨.
(٢) سورة البقرة الآية ١٣٠ و ١٣١.
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٢ و ١٣٣.

من الأبناء اثنا عشر ولداً ذكراً أصبح كل واحدٍ منهم أباً لقبيلة أو سِبْط . إن السِّبط فى بنى إسرائيل بمنزلة القبيلة فى العرب بنى إسماعيل عليه السلام[١] .

وإن محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، هو النبى الوحيد من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

جاء بشأن إسلام أنبياء بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام قوله تعالى : ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونورٌ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحْفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . فلا تخشوا الناس واخشونِ ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[٢] . إن التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام فيها هدىً من الضلالة ونورٌ فى مجال الاحكام وغير الأحكام يحكم بها النبيون من بنى إسرائيل الذين أسلموا لله رب العالمين، يحكمون بها للذين نشأوا فى اليهودية وعليهم[٣] ويحكم بها الربانيون العلماء الحلماء الحكماء الفقهاء العباد، ويحكم بها الأحبار العلماء .

وإن الذين دخلوا فى دين الإسلام من أتباع موسى عليه السلام كعبد الله بن سلام[٤] وأتباع عيسى عليه السلام كالسبعين قسيساً الذين بعثهم النجاشى إلى النبى ﷺ فى المدينة المنورة[٥] قد نزل فيهم قول الحق جلّ وعلا : ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لا نبتغى الجاهلين**﴾[٦] إن هؤلاء الذين دخلوا فى دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد ابن عبد الله ﷺ إذا يُتْلَى عليهم القرآن الكريم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا جل وعلا وإنا كنا من قبل سماع القرآن الكريم والايمان به مسلمين لله رب العالمين موحدين .

---

(١) تفسير القرطبي ٥٢٥ .
(٢) سورة المائدلا الآية ٤٤ .
(٣) انظر تفسير ابن عطية ٤/ ٤٥٥ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٥ دار المعرفة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .
(٦) سورة القصص الآيات من ٥٢ إلى ٥٥ .

وبعث الله تعالى أخيراً خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ بالحنيفية السمحة، دين الإسلام لله رب العالمين دين أبينا إبراهيم عليه السلام، واصطفاه تعالى بالصورة الكاملة من الحنيفية السمحة.

والله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به. قال الله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى**[١] **قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾**[٢] قال ابن عباس: لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعِث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه[٣]. وقد بشر كلٌّ من موسى عليه السلام فى التوراة وعيسى عليه السلام فى الانجيل بمحمد بن عبد الله ﷺ. قال تعالى: **﴿ورحمتى وسعت كل شيءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه**[٤] **ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾**[٥].

ولما كان الله تعالى قد بعث محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الكاملة من الحنيفية السمحة دين أبينا إبراهيم عليه السلام فقد توالت الاشارات فى القرآن الكريم الى هذه الحنيفية السمحة والاشادة بها والحث على اتباعها. جاء فى سورة النحل أمر المصطفى ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام حنيفاً ومائلاً قصداً عن كل شرك، ومنحرفاً عنه إلى توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة قال تعالى: **﴿إنّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكراً لانعمه اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم. وآتيناه فى الدنيا حسنةً وإنه فى الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً**

(١) إصري بمعنى عهدي. تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨.
(٢) سورة آل عمران الآية ٨١.
(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٥٤ وهداية الحيارى لابن القيم ٥١.
(٤) عزروه بمعنى وقروه.
(٥) سورة الأعراف الآية ١٥٦ و ١٥٧.

وما كان من المشركين﴾[١] وهذه الآية الكريمة من سورة الأنعام تصف بالصراط المستقيم دين إبراهيم عليه السلام الذى هدى الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ إليه . قال تعالى : **﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾**[٢] ومعنى قيما : مستقيما[٣] وإذا كانت سورة الحج تتحدث عن الحج على عهد إبراهيم عليه السلام، وكنا نحن المسلمين قد أمِرْنا بأن نأخذ مناسكنا فى الحج عن محمد بن عبد الله ﷺ الذى حج كما حج إبراهيم عليه السلام على النحو الذى بينته سورة الحج وغيرها من الوحى قرآناً كريماً وسنةً نبويةً مطهرة، فإن سورة الحج المدنية تحث المسلمين فى آخرها على اتباع ملة إبراهيم عليه السلام وتشير إلى فضل الله تعالى على أمة محمد بن عبد الله ﷺ بأن سماهم جل وعلا المسلمين من قبل نزول القرآن الكريم . قال تعالى : **﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرجٍ ملة أبيكم إبراهيم . هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم المصير﴾**[٤] .

وإن رسالة الإسلام الخاتمة، التى بعث الله بها محمد بن عبد الله ﷺ، تنفرد بين رسالات كل الانبياء السابقين بأنها عالميةٌ منذ فجرها . ثبت فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الانبياء قبلى . نُصِرْت بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أمتى أدركته الصلاة فليصل . وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحدٍ قبلى . وأعطيت الشفاعة . وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة**[٥] قال تعالى : **﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾**[٦]وقال تعالى : **﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[٧] وقال تعالى : **﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والارض لا إله إلا هو يحيى**

(١) سورة النحل الآيات من ١٢٠ إلى ١٢٣ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٦١ .
(٣) تفسير الطبري ٨/ ٨٢ .
(٤) سورة الحج الآية ٧٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٦ دار المعرفة .
(٦) سورة الفرقان الآية ١ .
(٧) سورة سبأ الآية ٢٨ .

ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[١] .

وإن دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ هو الدين الذى لا يقبل الله تعالى من أىِّ عبدٍ من عباده ديناً سواه لانه الدين الناسخ لسائر الاديان، السماوية منها ومن باب الاولى غير السماوية، وهو الدين الذى أكمله الله تعالى ورضيه لعباده وأتم به النعمة عليهم، وهو الدين الذى تكفل الله تعالى بإظهاره على الدين كله . وإليك هذه الآيات الكريمات فى هذه المعانى : قال تعالى[٢] : **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** وقال تعالى[٣] : **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾** وقال تعالى[٤] : **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** وقال تعالى[٥] : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** وقال تعالى[٦] : **﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** وقال تعالى[٧] : **﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾** .

جعل الله لكل أمةٍ شريعةً ومنهاجا.

إن الله سبحانه وتعالى الذى له الحكمة البالغة والحجة الدامغة لو شاء لجعل الناس جميعاً أمةً واحدةً أتباع نبى واحد وكتابٍ سماوى واحد ولكنه جل وعلا لم يشأ ذلك . وإلى ذلك الاختلاف بين الامم والحكمة منه أشار قوله تعالى من سورة هود[٨] : **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك . ولذلك خلقهم . وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين﴾** . وأيضاً أشار إلى ذلك قوله تعالى من سورة المائدة[٩] : **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه**

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٨ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩ .
(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٦٤ .
(٥) سورة المائدة الآية ٣ .
(٦) سورة التوبة الآية ٣٣ وسورة الصف الآية ٩ .
(٧) سورة الفتح الآية ٢٨ .
(٨) سورة هود الآية ١١٨ ، ١١٩ .
(٩) سورة المائدة الآية ٤٨ .

من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق . لكلٍ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجا . ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات . إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ . إن الآية الكريمة تخاطب المصطفى ﷺ وتقول له : إنا أنزلنا إليك الكتاب العزيز والقرآن الكريم بالحق وبالصدق الذى لاريب فيه انه من عند الله[١] مصدقاً لما بين يديه من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ[٢] ومهيمناً على الكتب السابقة شهيداً على الكتب قبله أنها حق من عند الله أميناً عليها حافظاً لها[٣] فاحكم أيها الرسول الكريم والنبى العظيم بينهم بما أنزل الله تعالى إليك ولا تتبع أهواءهم عادلاً ومُعرضاً ومنصرفاً عما جاءك من الحق من ربك . لكل أمةٍ منكم جعلنا شِرعةً وطريقاً إلى الحق تشرع فيه ومنهاجاً وسبيلاً بيناً واضحاً تسلكه فى سبيل الوصول إلى الغاية من شروعها فى أول طريق الحق وسلوكها فى نهج الصراط المستقيم . أما هذه الغاية فهى توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة . إن الله سبحانه وتعالى لو شاء لجعلكم أمةً واحدةً أتباع رسولٍ كريمٍ واحد وكتابٍ عظيمٍ واحد وعلى شريعةٍ واحدة ، ولكنه جل وعلا جعلكم أمماً ليختبركُم فيما آتاكم ، وليعلَم جل وعلا علم ظهورٍ من يطيعه ومن يعصيه . إن عليكم أن تستبقوا الخيرات بفعل الاوامر واجتناب النواهي . إلى الله تعالى مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين ويجزى كلاًّ بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وهكذا يتبين أن الغاية من إرسال الرسل وبعث النبيين واحدة هى توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة . قال تعالى[٤] : **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** أما سبل الرسل من أجل الوصول إلى هذه الغاية فمتعددة ومختلفة وهى التى عبر عنها بالقول : **﴿لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا﴾** والشِّرعة والشريعة فى المحسوسات الطريق الموصل الى الماء ، والماء ذاته الذى يقصده الشارع والقاصد ، شريطة أن يكون الماء دائماً غير منقطع ، غزيراً قريب التناول عذباً نميرا . إن هذه المعانى فى المحسوسات اتسمت بها الشرعة والشريعة فى المعنويات . وإذا

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥ .
(٣) تفسير الطبرى ٦/ ١٧٢ .
(٤) سورة الانبياء الآية ٢٥ .

كانت لفظة شرعة قد جاءت هنا فإن لفظة شريعة جاءت فى سورة الجاثية. قال تعالى[١]: **﴿ثم جعلناك على شريعةٍ من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾** والمنهاج وكذلك المنهج فى المحسوسات الطريق الواضح البيّن المستقيم الذى لا عوج فيه[٢] إنّ هذه المعانى فى المحسوسات اتسم بها المنهج والمنهاج فى المعنويات.

وإن شرائع النبيين المتعددة ومناهجهم المختلفة من أجل الوصول إلى غايةٍ واحدة هى توحيد الله تعالى قد قرّرها الحديث الشريف الذى ثبت فى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **نحن معاشر الانبياء إخوةٌ لعَلّات**[٣] **ديننا واحد**. يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسولٍ أرسله وضمنه كل كتابٍ أنزله[٤] ويستمر الحديث الشريف فى القول: **وإن أوْلى الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بينى وبينه نبى**[٥].

وهكذا يتبين أن شرائع النبيين متعددة أما دينهم فواحد وهو دين الاسلام ابتداءً بنوحٍ عليه السلام أول رسل الله تعالى الذى جرى على لسانه خطاباً لقومه القول[٦]: **﴿فإنْ توليتم فما سألتكم من أجرٍ إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾** وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، خاتم النبيين وأشرف المرسلين الذى أمره الله تعالى فى سورة الانعام بقوله عز من قائل[٧]: **﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إن صلاتى ونُسُكى ومحياى ومماتىَ لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرْت وأنا أول المسلمين﴾**.

الرسالة الخاتمة تلائم الأمة المسلمة:

ونحن من جانبنا لو تمثلنا الإنسانية منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأمره هو وزوجه حواء عليها السلام بالهبوط إلى الأرض إلى أن بعث الله تعالى خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، لو تمثلنا الإنسانية فى هيئة شخصٍ يمر خلال سنى حياته بمراحل من العمر مختلفة حتى يصل إلى مرحلة الرشد والأشد، لوقفنا عند ثلاث مراحل:

---

(١) سورة الجاثية الآية ١٨ .
(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس: «نهج» ٥/ ٣٦ ومفردات الراغب الأصفهانى: «نهج» ٥٠٦ ولسان العرب: «نهج» .
(٣) الإخوة لعَلات بفتح العين هم الإخوة من أبٍ واحدٍ وأمهاتٍ شتى .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٦٦ .
(٥) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٥٣ .
(٦) سورة يونس الآية ٧٢ .
(٧) سورة الانعام الآيات من ١٦١ - ١٦٣ .

فى المرحلة الأولى نستطيع أن نتمثل الإنسانية ابتداءً فى هيئة الطفل الذى يحبو فى مهده، والذى يحول الضعف بينه وبين القيام وجهده، والعدو وشدّه. ويصح أن نذهب إلى أن هذه المرحلة من عمر الإنسانية، وهى مرحلة الطفولة، يلائمها صوارم الاوامر وقوارع الزواجر. ويصح أن نذهب إلى أن مرحلة الطفولة هذه يمثل بنو إسرائيل أتباع موسى عليه السلام قمتها ونهايتها. إن بنى إسرائيل هم الذين يجىء عنهم فى القرآن الكريم قوله عز من قائل فى سورة الأعراف[١]: ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلةٌ وظنوا أنه واقعٌ بهم خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون**﴾ والمعنى: واذكر يامحمد إذ اقتلعنا الجبل فوق بنى إسرائيل[٢] وهو جبل الطور[٣] كأنه ظلة، وهى ما أظلك من سقيفةٍ أو سحاب[٤] وأيقنوا أن الجبل ساقطٌ عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا[٥] وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بجدٍ واجتهاد، واذكروا ما فى الكتاب السماوى بالعمل به لعلكم تتقون النار التى وقودها الناس والحجارة، بمعنى الاصنام، والتى أعدها الله تعالى للكافرين. إن بنى إسرائيل حينما أمرهم موسى بالعمل بالتوراة قالوا سمعنا وعصينا، والمعنى: سمعنا قولك وعصينا أمرك[٦] وحينما أيقنوا أن جبل الطور واقعٌ عليهم قالوا سمعنا وأطعنا. جاء فى سورة البقرة[٧] قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمعوا. قالوا سمعنا وعَصَيْنا وأُشْرِبوا فى قلوبهم العجلَ بكفرهم. قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين**﴾. عن ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا سمعنا وأطعنا. وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا سمعنا وعصينا[٨] وقيل إن كل رجلٍ من بنى إسرائيل خر ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليُمْنى إلى الجبل فَرَقاً من أن يسقط عليه[٩].

والمعروف أن بنى إسرائيل تحولوا بدين موسى عليه السلام وبتعاليمه الموحاة إليه

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧١ .
(٢) تفسير الطبرى ٩/ ٧٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٠ .
(٤) انظر البحر المحيط ٤/ ٤١٩ ، ٤٢٠ .
(٥) انظر الجلالين .
(٦) الكشاف ١/ ٢٢٧ .
(٧) سورة البقرة الآية ٩٣ .
(٨) البحر المحيط ١/ ٣٠٨ .
(٩) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦١ .

من رب العالمين إلى مادية جشعة فكانوا يأكلون السحت من رباً ورشاً وما إليهما حتى قال الحق جل وعلا عنهم فى محكم التنزيل[١] : ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوةً. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإن منها لما يَشَّقَّق فيخرجُ منه الماء. وإن منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافلٍ عما تعملون**﴾.

وتجاوزت الإنسانية مرحلة المهد، ونما عودها واشتد، وكأنها بلغت من العمر مرحلة الغلام الذى بلغ من والده مرحلة السعى والشد، والذى يناسبه الجانب الناعم من الحياة، ويوافقه الشطر الرقيق من التعاليم، وكأن هذه المرحلة تتمثل فى إرسال الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل. وفى مقابل انحراف بنى إسرائيل بتعاليم موسى عليه السلام إلى ماديةٍ خالصة، ودنيويةٍ صرفة، كان عيسى عليه السلام متخصصاً فى الروحانيات. ومازال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة، ثم أخذ القوم فى التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون[٢].

ولما كان المسيح عليه السلام متخصصاً فى الروحانيات وكانت الحياة روحاً ومادة فإن أتباع المسيح عليه السلام ما لبثوا أن خرجوا فى مجموعهم على تلك الروحانيات وانهمكوا فى الماديات، شأنهم فى ذلك شأن اليهود وسائر الناس آنذاك. أما المستمسكون بروحانيات السيد المسيح عليه السلام فإنهم تحولوا بها إلى رهبانيةٍ خالصةٍ لا شأن لها بأمور الحياة. وهكذا يتبين أن الخارجين على تعاليم السيد المسيح عليه السلام قد تحولوا بها إلى ماديةٍ صارخة، وأن المستمسكين بتعاليمه عليه السلام وهم قلة، قد تحولوا بتلك التعاليم من كونها روحانية خالصة إلى رهبانيةٍ مبتدعة وسلبيةٍ يائسة. وعموماً فإن الاخيرين خيرٌ من الاولين يقول ابن القيم[٣] فى هذا الشأن: «وقد نظر الله إلى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

ثم بلغت الانسانية مرحلة الرشد التى تناسبها الرسالة السماوية العالمية الخاتمة، والرسول النبى الخاتم، والكتاب السماوى الخاتم، والكلمة السماوية الاخيرة إلى البشرية، فكان دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ. لقد نسخ

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٤ .

(٢) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ١٤٢ .

(٣) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ٩ وانظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٢٧ وانظر الآية ٢٧ من سورة الحديد. وهذا الّذى ذكره ابن القيم جزءٌ من حديث. انظر صحيح مسلم بشرح الإمام النّووىّ ١٧/ ١٩٧ .

الدين الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ كل دينٍ سماوى ومن باب الاولى غير السماوى، كما هيمن كتابه السماوى الذى أوحاه الله تعالى إليه على كل كتابٍ سماوىٍ سابق، فهو الحافظ لتلك الكتب، الامين عليها، الشهيد على أنها موحىً بها من الله تعالى. لننظر إلى لفظة الرشد التى جاءت دليلاً على دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى مرحلة الرشد التى بلغتها الانسانية باعتبارها قادرةً على أن تتبين الرشد من الغى، وتميز الايمان من الكفر[١] وذلك فى قوله تعالى[٢]: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. والله سميعٌ عليم**﴾[٣].

حال الإنسانية قبيل البعثة المحمدية:

ونحن إذا نظرنا إلى العالم فى القرنين السادس والسابع الميلاديين تبيّنّا أن هذا العالم قد انحط إلى الدرك الأسفل بلا خلاف[٤] أما اليهود فبسبب الاضطهاد الذى حل بهم فى كل مكان، باستثناء جزيرة العرب، قد ورثوا أسوأ الخصال وتأصلت فيهم أردأ الخلال. وقد وصفهم القرآن الكريم وصفاً دقيقاً عميقاً يصور ما كانوا عليه فى القرنين السادس والسابع من تدهورٍ خلقى، وانحطاط نفسى، وفسادٍ اجتماعى[٥] وقد اقتبس اليهود كثيراً من عقائد الامم التى جاوروها أو وقعوا تحت سيطرتها، وكثيراً من عاداتها وتقاليدها الوثنية الجاهلية[٦] قال تعالى[٧]: ﴿**وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ إن اليهود والنصارى بسبب هذا القول يشابهون الذين كفروا من قبل من الآباء المشركين الذين قالوا بهذا القول ومن سواهم.

أما المسيحيون فإن كل فرقةٍ من فرق النصارى تقول للاخرى إنها ليست على شىء[٨] قال تعالى[٩]: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال**

---

(١) الكشاف ١/ ٢٩٣ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .
(٣) انظر هنا رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ١٦٧ فما بعدها، الفصل الخاص بترقى الاديان بترقى الانسان وإكمالها بالاسلام. القاهرة الطبعة السابعة عشرة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
(٤) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٢٩) .
(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٣٥ .
(٦) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ١ .
(٧) سورة التوبة الآية ٣٠ .
(٨) ماذا خسر العالم ٢٩ .
(٩) سورة التوبة الآية ٣٤ .

الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله﴾ وإذا كان فريقٌ من رجال الدين قد انسحب من ميدان الحياة فإن من بقى منهم فى تيار الحياة اصطلح مع الظالمين وتقاسم معهم الغنائم والمظالم(١) وقال تعالى(٢): **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** وقال تعالى(٣): **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد. وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذابٌ أليم. أفلا يتوبون إلى الله يستغفرونه والله غفورٌ رحيم. ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقةٌ كانا يأكلان الطعام. انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضَرّاً ولا نفعاً والله هو السميع العليم. قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾**.

فإذا تحولنا إلى أوربا تبينا أنه لم تكن فى أوربا الغربية فى ذلك العهد أمارات الوحدة والنظام(٤).

فإذا اتجهنا إلى فارس تبينا أنها كانت آنذاك الحقل القديم لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم حتى إن يزدجرد الثانى الذى حكم فى أواسط القرن الخامس الميلادى تزوج بنته ثم قتلها، وإن بهرام جوبين الذى تملك فى القرن السادس كان متزوجاً بأخته(٥) وكان الايرانيون يتزوجون من غير استثناء(٦) وكانوا مجوساً عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار التى عكفوا على عبادتها أخيرا. وقد انقرضت كل عقيدةٍ وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس(٧).

فإذا اتجهنا الى الهند تبيّنّا أن الوثنية قد بلغت أوجها فى القرن السادس وبلغ عدد الاصنام ثلاثمائة وثلاثين مليون صنم(٨) وعن الشهوة الجنسية ونظام الطبقات الجائر فى الهند حدث ولا حرج(٩).

---

(١) انظر ماذا خسر العالم ٢٧ .
(٢) سورة المائدة الآية ١٧ و٧٢ .
(٣) سورة المائدة الآيات٧٣ - ٧٧ .
(٤) ماذا خسر العالم ٣٤ .
(٥) ماذا خسر العالم ٣٧ .
(٦) ماذا خسر العالم ٣٨ .
(٧) السيرة النبوية لابى الحسن الندوى ٤ .
(٨) ماذا خسر العالم ٤٦ والسيرة النبوية لابى الحسن الندوى ٦ .
(٩) انظر ماذا خسر العالم ٤٦ - ٥٠ .

فإذا اتجهنا إلى الصين التى كانت البوذية فيها وفى الهند كذلك تبينا أن الديانة البوذية قد فاقت الديانة الهندكية فى الإغراق فى الوثنية.

فإذا تحولنا إلى اليهودية والنصرانية فى بلاد العرب تبينا أنهما كانت نسختين من اليهودية فى الشام والنصرانية فى بلاد الروم والشام[١].

فإذا تحولنا إلى العرب فى جزيرة العرب تبينا أنهم غارقون حتى آذانهم فى الوثنية وفى عبادة الاصنام ويكفى أن يقال إنه كان فى جوف الكعبة، البيت الذى بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده وفى فنائها ثلاثمائة وستون صنما[٢] عن عبد الله رضى الله عنه قال: دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب فجعل يطعنها بعودٍ فى يده ويقول: **جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يُبْدِىء الباطل ومايُعيد**[٣].

وبالجملة لم تكن على ظهر الارض أمةٌ صالحة المزاج، ولا مجتمع قائم على أساس الاخلاق والفضيلة، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرّحمة، ولا قيادة مبنيّة على العلم والحكمة، ولا دين صحيح مأثور عن الانبياء[٤].

جاء فى القرآن الكريم خطاباً للمصطفى ﷺ قول الحق جل وعلا[٥]: **﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾**.

ولعل فيما سبق تبييناً لاسباب ظهور الاسلام بمعناه الخاص.

(١) ماذا خسر العالم ٥٤.
(٢) السيرة النبوية لابى الحسن الندوى ٨.
(٣) صحيح البخارى ٥/ ١٨٨.
(٤) ماذا خسر العالم ٦٠.
(٥) سورة الانبياء الآية ١٠٧.



سؤال رقم

٢

اذكر ثلاث نقاط تميز الإسلام عن النصرانية

نود أن نشير بإيجازٍ أولاً إلى النقاط الثلاث المطلوبة التى تميز الاسلام عن النصرانية، إنها.

١ - توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة.

٢- كل رسل الله تعالى عبيدٌ له جل وعلا ابتداءً بنوحٍ عليه السلام، وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، ومروراً بعيسى ابن مريم عليه السلام.

٣- أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم له جل وعلا.

وبعد هذه الإشارة الموجزة إلى النقاط الثلاث نتبعها بشيءٍ من بسط القول:

توحيد الله تعالى:

إن أول ما يميز الإسلام وإن أهم ما يميز الإسلام عن غيره من الديانات النصرانية وغيرها توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التى أكدت هذا المعنى. بل إن القرآن الكريم إذا كان يدور حول ثلاثة محاور، توحيد وقصص وأحكام[1] وكان محور التوحيد هو أكبر هذه المحاور الثلاثة فإن كلاًّ من المحورين الآخرين خادمٌ لقضية التوحيد وبخاصةٍ محور القصص. وبسبب كثرة الآيات القرآنية التى تقرر وحدانية الله تعالى وتؤكدها نكتفى ببعض النماذج.

إن من أقرب النماذج وأوضحها سورة الاخلاص بمعنى التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة. قال تعالى: ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولك يكن له كفواً أحد**﴾.

إن الله سبحانه وتعالى يأمر المصطفى ﷺ الذى سُئل عن ربه جل وعلا أن يقول: **هو الله تعالى الواحد الاحد الفرد الصَّمد المقصود فى كل الحوائج على الدوام لم يلد ولم يولد ولم يكن له أحدٌ مكافئاً ولا مماثلا.**

وجاء فى سورة آل عمران[2] فى قضية التوحيد قوله تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله**

(١) انظر هنا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيمية ٩.
(٢) سورة آل عمران الآيات من ١٨ - ٢٠.

الاسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب. فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن. وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد﴾ .

إن الله سبحانه وتعالى يشهد، وكفى بالله شهيدا، أنه لا إله إلا هو ولا معبود بحقٍ إلا هو جل وعلا وحده لا شريك له، وكذلك يشهد الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويشهد أولو العلم الصحيح النافع الراسخون فيه. والله سبحانه وتعالى هو القائم بالعدل القائل بالحق الشاهد بالقسط الذى يلى العدل بين خلقه[1] لا إله إلا هو العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه. إن الدين المتقبّل عند الله تعالى هو الإسلام، بمعنى الاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له جل وعلا بالطاعة، والخلوص من الشرك. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من يهود ونصارى إلا من بعد ما جاءهم العلم الصحيح فى قضية التوحيد، وما اختلفوا لأن ثمة سبباً موجباً للاختلاف، إنما اختلفوا بسبب ظلم بعضهم بعضاً، وبغى بعضهم على بعض. إن الله سبحانه وتعالى سريع المحاسبة لمن يكفر بآياته جل وعلا البينات. فإن حاجك أهل الكتاب وسواهم وخاصموك أيها الرسول الكريم والنبى العظيم فى القول: ﴿**إن الدين عند الله الاسلام**﴾ فقل لهم أسلمت وجهى لله تعالى وأسلم من اتبعنى بتوحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة والخلوص من الشرك. وقل أيها الرسول الكريم والنبى العظيم لأهل الكتاب من يهود ونصارى وللأميين الذين لم يصطفهم الله تعالى بكتابٍ سماوى: أسلموا لله رب العالمين. فإن أسلموا بأن شهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد اهتدوا إلى الصراط المستقيم، وإن تولوا وانصرفوا فإنما عليك أيها الرسول الكريم البلاغ وحده. والله سبحانه وتعالى هو البصير بالعباد. عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار**. رواه مسلم[2].

وإن العلم بأن الله تعالى واحدٌ أحد فردٌ صمد يسبق العمل. جاء فى سورة محمد[3] عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**

(١) انظر تفسير الطبرى ٣/ ١٤٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٤ .
(٣) سورة محمد الآية ١٩ .

وللمؤمنين والمؤمنات . والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به: فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك، فأمر بالعمل بعد العلم[١] والامام البخارى فى كتاب العلم من صحيحه[٢] الذى هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم عقد باباً[٣] عنوانه: بابٌ: العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله. فبدأ بالعلم.

والمعروف أن أول أركان الاسلام شهادة ألا إله إلا اللهوأن محمداً رسول الله. فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله وجهان لركنٍ واحدٍ من أركان الاسلام الخمسة وهى أول أركان الاسلام وأهمها.

والمعروف كذلك أن الاشراك مع الله تعالى سواه هو الذنب الوحيد الذى لا يغفره الله تعالى. قال عز من قائل[٤]: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما﴾ وقال تعالى[٥]: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدا﴾ وقال تعالى[٦]: ﴿وقَدِمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورا﴾ إن كل الاعمال الصالحة باطلة بسبب الشرك. والهباء عبارةٌ عما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار. وإذا كان الهباء المنتظم لا قيمة له فكيف به وقد عبث الهواء؟ لاشك أنه أقل قيمة. وهذا هو معنى القول: ﴿منثورا﴾ فى الآية الكريمة[٧].

كل رسل الله تعالى عبيدٌ له جلا وعلا:

إن كل رسل الله تعالى عبيدٌ لله تعالى وعبادٌ له، لانهم المصطفون الاخيار. وقد قال تعالى[٨]: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ وقال تعالى[٩]: ﴿ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحُكْمَ والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما

(١) تفسير القرطبى ٦٠٦٢ .
(٢) صحيح البخارى ١/ ٢٢ وانظر دراستنا للآية الكريمة فى الدراسة بعنوان: تأملات فى سورة محمد ﷺ ١٥٦ .
(٣) صحيح البخارى ١/ ٢٦ .
(٤) سورة النساء الآية ٤٨ .
(٥) سورة النساء الآية ١١٦ .
(٦) سورة الفرقان الآية ٢٣ .
(٧) تأملات فى سورة الفرقان، للمؤلف، ٨٣ .
(٨) سورة الانعام الآية ١٢٤ .
(٩) سورة آل عمران الآية ٧٩ .

كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسون﴾ . إن الآية الكريمة تبين أنه لا ينبغى ولا يصح لبشرٍ اصطفاه الله تعالى بالكتاب السماوى الموحى به إليه، وخصه جل وعلا بالفقه فى دينه وفصل الخطاب، وأنعم عليه بنعمة النبوة التى هى محض فضلٍ من الله تعالى ثم يقول بعد ذلك للناس اعبدونى من دون الله تعالى، ولكن يقول لهم كونوا علماء حكماء حلماء فقهاء عاملين بما علمكم الله تعالى معلمين الناس النافع من العلم مرشديهم إلى الخير من العمل، لان الله سبحانه وتعالى اصطفى هؤلاء الأتباع بكونهم يعلّمون الناس معانى الكتاب السماوى وبكونهم طلاّب علم يدرسونه ويتأملونه ويتفقهون فيه .

ومن ألطف ما يشار إليه فى هذه المسألة أن محمد بن عبد الله ﷺ ينص القرآن الكريم على أنه عبد الله فى أشرف الاحوال وأعظم المناسبات . إن النبى ﷺ حينما قام يعبد الله تعالى ويصلى ببطن نخلة، وادٍ بين مكة والطائف، وركب بعض الجن بعضاً ازدحاماً حرصاً على سماع القرآن الكريم حتى صاروا كأنهم اللِّبد جمع لِبدة بكسر اللام ولُبْدة بضم اللام وهى الشعر المجتمع بين كتفى الاسد، إن النبى ﷺ حينما قام يعبد الله تعالى أشار القرآن الكريم إليه بأنه عبد الله . قال تعالى[١] : **﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾** وقد أشار القرآن الكريم إلى المصطفى ﷺ بأنه **عبد الله** فى أولى آيات سورة الإسراء التى تحدثت عن الإسراء به ﷺ ليلاً من المسجد الحرام فى مكة المكرمة إلى المسجد الاقصى فى القدس الشريف . قال تعالى : **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** كما أشار القرآن الكريم إلى المصطفى ﷺ بأنه عبد الله فى أولى آيات سورة الفرقان وذلك فى معرض المن من الله تعالى عليه ﷺ بإنزال القرآن الكريم عليه . قال تعالى : **﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾** .

وإن أول ما جرى على لسان عيسى عليه السلام، الذى تكلم فى المهد، أنه عبد الله . قال تعالى[٢] : **﴿واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت أنّى يكون لى غلامٌ ولم يمسسنى بشرٌ ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علىّ هينٌ ولنجعله**

(١) سورة الجن الآية ١٩ .
(٢) سورة مريم الآيات من ١٦ – ٤٠ .

آيةً للناس ورحمةً منا. وكان أمراً مقضيّا. فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّا. فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّا. فناداها مِنْ تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريّا. وهزى إليك بجذع النخلة تُساقِط عليك رُطَباً جنّيا. فَكُلى واشربى وقَرى عيناً فإما تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيّا. فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريّا. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ وما كانت أمك بغيّا. فأشارت إليه. قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيّا. قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيّا. وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيّا. وبرّاً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيّا. والسلام علىّ يوم وُلِدْت ويوم أموت ويوم أُبْعَثُ حيّا﴾.

وقد نعى القرآن الكريم فى العديد من المواضع على غلاة النصارى غلوهم فى عيسى ابن مريم عليه السلام، ومن ذلك هذه الآيات الكريمات من سورة مريم[1] قال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئاً إدّا. تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا. أن دَعَوا للرحمن ولدا. وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا. إن كل من فى السماوات والارض إلا آتى الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدّهم عدا. وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ ويبين القرآن الكريم أن رب العزة الذى أحاط بكل شىءٍ علماً ومن ذلك العلم بكل ما قال عيسى ابن مريم وفعل، بل وأضمر فى نفسه ونوى، سوف يَسْأَلُ عيسى عليه السلام يوم القيامة عن غلو أتباعه فيه عليه الصلاة والسلام. وفى ذلك اليوم تثبت براءته عليه السلام على رءوس الاشهاد. قال تعالى[2]: ﴿وإذْ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قُلْتَ للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله. قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق. إن كنت قلتُه فقد علمتَه. تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلتُ لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربّكم. وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم. وأنت على كل شىءٍ شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾.

(١) سورة مريم الآيات من ٨٨ – ٩٥ .

(٢) سورة المائدة الآيات من ١١٦ – ١١٨ .

أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم له جل وعلا:

جاء فى سورة الحجرات(١) قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليمٌ خبير**﴾ إنّ رب العزة ينادى كلّ الناس بأنه جل وعلا خلقهم من ذكرٍ وأنثى هما آدم وحواء عليهما السلام(٢) وجعلهم جل وعلا شعوباً وقبائل ليتعارفوا أى ليحصل التعارف بينهم كلٌّ يرجع إلى قبيلته(٣) وليس من أجل أن يتفاخروا. إن أكرمهم عند الله أتقاهم وأخشاهم لله تعالى بفعل الاوامر واجتناب النواهى.

والأحاديث النبوية الشريفة التى تبين معنى الآية الكريمة وتعمقه كثيرة. روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أى الناس أكرم؟ قال: **أكرمهم عند الله أتقاهم**. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: **فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله**(٤) قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: **فعن معادن العرب تسألونى**؟ قالوا: نعم. قال: **فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام إذا فقهوا**. رواه النَّسائى(٥) وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**. رواه ابن ماجه(٦) ورُوى أن رسول الله ﷺ قال: **المسلمون إخوة. لا فضل لاحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى**(٧) وفى الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب بمكة(٨) فقال: **يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عَيْبَة الجاهلية**(٩) **وتعاظمها بآبائها. فالناس رجلان: رجلٌ تقىٌّ كريمٌ على الله، وفاجرٌ شقىٌّ هينٌ على الله. والناس بنو آدم، وخَلَق الله آدم من تراب. قال الله تعالى**: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليمٌ خبير**﴾(١٠) وعن أبى مالك الاشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى**

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧ وتفسير القرطبى ٦١٦٠.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢١٧.
(٤) يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.
(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧ وتفسير القرطبى ٦١٦٦.
(٦) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧.
(٧) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧.
(٨) يوم فتح مكة كما جاء فى تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٨.
(٩) العَيْبَة، المرّة من عاب الشىء إذا صيره ذا عيب.
(١٠) تفسير القرطبى ٦١٦١ وتفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧.

أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم. فمن كان له قلبٌ صالحٌ تحنّن الله عليه. وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إليه أتقاكم[١] قال تعالى[٢]: ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾.

إن الإسلام يرفض بالكلية ما نسمع من أن بعض رجال الدين فى المسيحية يغفرون الذنوب، بل وربما قدم بعضهم صكوك الغفران. إنا نقول لهؤلاء ولأمثالهم ما جاء فى سورة آل عمران[٣]: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ أى لا أحد يغفر الذنوب إلا الله تعالى[٤].

---

(١) تفسير القرطبى ٦١٦٢.
(٢) سورة الشعراء الآيات ٨٨، ٨٩.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٥.
(٤) انظر مثلاً الجلالين.

سؤال رقم

٣

مَنْ هم الذين بشّروا
بمحمد « صلى اللّٰه عليه وسلم » ؟

بشر بمحمد بن عبد الله ﷺ كلٌّ من التوراة التى أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذى أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام. وسيكون القرآن الكريم منطلقنا ثم نتحول إلى كلٍّ من التوراة والانجيل.

بأمرٍ من الله تعالى ذهب موسى عليه السلام إلى جبل الطور ومكث هنالك أربعين ليلةً آتاه الله تعالى بعدها التوراة، وفى تلك الاثناء عبد بنو إسرائيل العجل. وبأمرٍ من الله تعالى اختار موسى عليه السلام من بين الذين لم يعبدوا العجل سبعين رجلاً وذهب بهم إلى جبل الطور كى يتوبوا إلى بارئهم جل وعلا من عبادة قومهم العجل فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فدعا موسى عليه السلام ربه جل أن يغفر لهم ويرحمهم فكان الجواب من الله تعالى بأن رحمته الواسعة سيكتبها جل وعلا للذين يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله تعالى ويتبعون محمد بن عبد الله ﷺ الرسول النبى الامى الذى يجده اليهود والنصارى مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل بنعته عليه الصلاة والسلام. وإلى هذه المعانى أشار قوله عز من قائل فى سورة الاعراف(١): ﴿**واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى. أتهلكنا بما فعل السفهاء مِنا. إن هى إلا فتنتك تُضِل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين. واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنةً وفى الآخرة إنا هدنا إليك. قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذي يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويَضَعُ عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه(٢) ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ وهكذا يتبين أن كلاً من التوراة الموحى بها إلى موسى عليه السلام والانجيل الموحى به إلى عيسى عليه السلام قد بشر بمحمد بن عبد الله ﷺ بنص القرآن الكريم.

وفى سورة الصفّ جاءت الاشارة إلى تبشير عيسى عليه السلام بمحمد بن عبد الله ﷺ. قال تعالى(٣): ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم**

(١) سورة الأعراف الآيات من ١٥٥ - ١٥٧ .
(٢) عزروه: وقروه.
(٣) سورة الصف الآية ٦ .

مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتى من بعدى اسمه أحمد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين﴾.

التوراة تبشر بمحمد ﷺ:

فإذا تحولنا إلى التوراة تبينا أن الإمام المهتدى السموءل بن يحيى المغربى المتوفَّى سنة ٥٧٠هـ فى كتابه إفحام اليهود[١] قد عقد فصلاً عنوانه: ذكر الآيات والعلامات التى فى التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد المصطفى ﷺ[٢] وإليك بعض الاقتباسات فى هذا الشأن. يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة[٣]: «إنهم[٤] لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثانى من السفر الخامس من التوراة. . . نبياً أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك، به فليؤمنوا. وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ» ويقول[٥]: «وهذا دليلٌ على أن التوراة أمرتهم فى هذا الفصل بالايمان بالمصطفى ﷺ واتّباعه» وفى كتاب هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم[٦] جاء الاقتباس من التوراة على هذا النحو: «سأقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه ويقول لهم ما آمرهم به. والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه» وقد علق ابن القيم رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً على هذا النص من التوراة بالقول[٧]: «فهذا النص مما لا يمكن أحداً منهم جحده وإنكاره» وقد فنّد السموءل رأى اليهود الذى يذهب إلى أن المراد بالآية من التوراة شموائيل النبى عليه السلام فى كتابه إفحام اليهود[٨] وفى الشق الاول من رسالته الذى ذكر فيه الرؤيا التى رأى فيها النبى شموائيل عليه السلام الذى بين للسّموءل أن المقصود بالآية من التوراة: نبياً أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك به فليؤمنوا، هو محمد بن عبد الله ﷺ وليس شموائيل عليه

(١) إفحام اليهود وقصة إسلام السموءل ورؤياه النبى ﷺ للامام المهتدى السموءل بن يحيى المغربى تقديم تحقيق تعليق د. محمد عبد الله الشرقاوى. طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الرياض ١٤٠٧هـ.
(٢) إفحام اليهود ١١١ فما بعدها.
(٣) إفحام اليهود ١١١.
(٤) يعنى اليهود.
(٥) إفحام اليهود ١١٤.
(٦) هداية الحيارى ص ٥١.
(٧) هداية الحيارى ٥٢ وانظر هنالك بقية رودود ابن القيم على الصارفين لهذا النص عن معناه.
(٨) إفحام اليهود ١١١ - ١١٣.

السلام، يعنى نفسه[١].

وتحت فصلٍ عنوانه: الإشارة إلى اسمه فى التوراة يقول السموءل[٢]: «قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السِّفر الأول من التوراة مخاطباً إبراهيم الخليل عليه السلام: وأما إسماعيل فقد قبلت دعاءك. ها أنا قد باركت فيه، وأثمِره وأكثره جدّاً جدّا» وقد علّق السموءل على الآية من التوراة وعلى كلمة ماد ماد التى جاءت فيها بالقول[٣]: «وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغةً فى حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغةً من باقى كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الاشارة إلى أجلّ أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم» وفى هذا المعنى يقول ابن القيم[٤]: «وفى التوراة ما ترجمته بالعربية: وأمّا فى إسماعيل فقد قبلت دعاك ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكبره بُمأذ مُأذ. هكذا هذه اللفظة مُأذ على وزن عُمَر. وقد اختلف فيها علماء أهل الكتاب. فطائفةٌ يقولون: معناها جداً جدّاً، أى كثيراً كثيراً. فإن كان هذا معناها فهو بشارةٌ بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً. ومعلومٌ أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم من محمد ﷺ. وقالت طائفةٌ أخرى: بل هى صريح اسم محمد. قالوا: ويدل عليه أن ألفاظ العبرانية قريبةٌ من ألفاظ العربية، فهى أقرب اللغات إلى العربية. . . فإذا أخذت لفظة: مُؤَذ مُؤَذ وجدتها أقرب شىءٍ إلى لفظة محمد، وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية».

وتحت فصلٍ عنوانه: ذكر الموضع الذى أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام، وبعد أن يذكر السموءل النص التوراتى يقول[٥]: «تفسيره: قال: إن الله تعالى من سيناء تجلى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسى. وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص، الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، بل فى هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام. ويعلمون أن سيناء هو جبل الطور، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة.

---

(١) انظر إفحام اليهود ٦٠ – ٦٤ أما الشق الآخر من الرسالة فإنه ذكر فيه الرؤيا التى رأى فيها المصطفى ﷺ وأعلن فيها إسلامه بين يديه ﷺ. انظر إفحام اليهود ٦٥ – ٧٤ .
(٢) إفحام اليهود ١١٥ .
(٣) إفحام اليهود ١١٧ .
(٤) هداية الحيارى ٦١ .
(٥) إفحام اليهود ١١٨ .

وفى الإشارة إلى هذه الاماكن الثلاثة التى كانت مقام نبوة هؤلاء الانبياء ما يقتضى للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى إلى الامر باتباع مقالتهم.

فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليه السلام سكن إسماعيل فى برية فاران ونطقت التوراة بذلك فى قوله . . . وأقام فى برية فاران وأنكحته أمه امرأةً من أرض مصر. فقد ثبت فى التوراة أن جبل فاران مسكنٌ لآل إسماعيل. وإذا كانت التوراة قد أشارت فى الآية التى تقدم ذكرها إلى نبوةٍ تنزل على جبل فاران، لزم أن تكون تلك النبوة على آل اسماعيل لانهم سكان فاران.

وقد علم الناس قاطبةً أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل محمد ﷺ وأنه بُعث من مكة التى كان فيها مقام إسماعيل.

فدل ذلك على أن جبال فاران هى جبال مكة وأن التوراة أشارت فى هذا الموضع إلى نبوة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وبشرت به».

وفى هذا الشأن يقول ابن القيم[1]: «قال فى التوراة فى السفر الخامس: أقبل الله سبحانه من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فارانْ، ومعهْ ربوات الإظهار عن يمينه. وهذه متضمنةٌ للنّبوّات الثلاثة، نبوّة موسى، ونبوّة عيسى، ونبوّة محمّد ﷺ. فمجيئه من سيناء، وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه عليه، إخبارٌ عن نبوته. وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس. وساعير قريةٌ معروفةٌ هناك إلى اليوم. وهذه بشارةٌ بنبوة المسيح. وفاران هى مكة. وشبه سبحانه نبوة موسى بمجىء الصُّبح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الانبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها فى الآفاق. ووقع الامر كما أخبر به سواء. فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والاشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الارض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم. وذكر هذه النبوات الثلاثة التى اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها فى أول سورة التين: ﴿**والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين**﴾ فذكر أمكنة هؤلاء الانبياء وأرضهم التى خرجوا منها. ﴿**والتين والزيتون**﴾. والمراد بهما منبتهما وأرضهما وهى

(١) هداية الحيارى ٥٣ .

الارض المقدسة التى هى مظهر المسيح . ﴿وطور سينين﴾ . الجبل الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته . ﴿وهذا البلد الأمين﴾ . مكة حرم الله وأمنه التى هى مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم . فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء» ويقول[١] : «إن إسماعيل لما فارق أباه سكن فى برية فاران . هكذا نطقت التوراة . ولفظها : وأقام إسماعيل فى برية فاران وأنكحته أمه امرأةً من [جرهم] . ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكنٌ لآل إسماعيل ، فقد تضمنت التوراة نبوةً تنزل بأرض فاران . وتضمنت نبوةً تنزل على عظيمٍ من ولد إسماعيل ، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملئوا السهل والجبل» وجاء فى موضع آخر[٢] : «وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها تسمى من اتّبع نصارى» وجاء فى موضع آخر[٣] : «قال علماء الإسلام : وساعير جبلٌ بالشام منه ظهور نبوة المسيح . وإلى جانبه قرية بيت لحم القرية التى ولد فيها المسيح تسمى اليوم : ساعير . ولها جبالٌ تسمى ساعير» وحول اختلاف ترتيب المواضع الثلاثة والنبوات الثلاث فى كلٍ من التوراة ولإنجيل والقرآن يقول ابن القيم[٤] : «لما كان ما فى التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزمانى ، فقدم الاسبق ثم الذى يليه . وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها وإظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله . فأقسم بها على وجه التدريج درجةً بعد درجة . فبدأ بالعالى ، ثم انتقل إلى أعلى منه ، ثم أعلى منهما . فإن أشرف الكتب القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل . وكذلك الأنبياء»[٥] .

الإنجيل يبشر بمحمد ﷺ:

فإذا تركنا التوراة إلى الإنجيل استطعنا أن نجد من النصوص التى تبشر بمحمد بن عبد الله ﷺ ما يلى : «إن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب وسيأتيكم الفار قليط روح الحق ، لا يتكلم من قبل نفسه ، إنما هو كما يقال له . وهو يشهد علىّ وأنتم تشهدون لأنكم معى من قبل الناس . وكل شىءٍ أعده الله لكم يخبركم به . وفى إنجيل يوحنا :

(١ هداية الحيارى ٥٣ .
(٢) هداية الحيارى ٦٧ نقلاً عن أبى محمد ابن قتيبة .
(٣) هداية الحيارى ٦٧ .
(٤) هداية الحيارى ٦٨ .
(٥) بشأن نصوصٍ أخرى من التوراة فى نبوة محمد ﷺ انظر هداية الحيارى ٥٤ الوجه الثالث و٥٥ الوجه الرابع .

الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب. وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به ويكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب. . .
وفى موضع آخر: إنى سائلٌ له أن يبعث إليكم فار قليطاً آخر يكون معكم إلى الابد، وهو يعلمكم كل شىء. وفى موضعٍ آخر: ابن البشر ذاهبٌ والفارقليط من بعده يجىء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شىء. وهو يشهد لى كما شهدت له، فإنى أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل. قال أبو محمد بن قتيبة: وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة، وإنما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح ﷺ فى الإنجيل من الحواريين عدّة.

والفار قليط بلغتهم لفظٌ من ألفاظ الحمد، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك»[١] «وقال متّى: قال المسيح: ألم تروا أن الحجر الذى أخره البناءون صار أساً للزاوية من عند الله. كان هذا وهو عجيبٌ فى أعيننا. ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمةٍ أخرى تأكل ثمرتها. ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ. وكل من سقط عليه يمحقه»[٢] «وقال يوحنا: قال المسيح: إن أركون العالم سيأتى وليس لى شىء»[٣] وأركون العالم هو عظيم العالم وكبير العالم. وتأمل قول المسيح فى هذه البشارة التى لا ينكرونها: إن أركون العالم سيأتى وليس لى من الامر شىء، كيف هى شاهدةٌ بنبوة المسيح ونبوة محمد معاً فإنه لما جاء صار الامر له دون المسيح. فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة. ولم يبق بأيدى النصارى إلا دينٌ باطله أضعاف حقه، وحقه منسوخٌ بما بعث الله به محمداً ﷺ، فطابق قول المسيح قول أخيه محمد ﷺ: ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيحكم بكتاب ربكم. وقوله فى اللفظ الآخر: يأتيكم بكتاب ربكم. فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثانى وصدق الثانى بالأول. وتأمل قوله فى البشارة الأخرى: ألم تر إلى الحَجَر الذى أخره البناءون صار أُساً للزاوية، كيف تجده مطابقاً لقول النبى ﷺ: مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجلٍ بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنةٍ منها، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون: هلا وضعت تلك اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة[٤].

(١) هداية الحيارى ٥٥ .
(٢) هداية الحيارى ٥٦ .
(٣) هداية الحيارى ٥٦ .
(٤) هداية الحيارى ٦٢ .

وإذا تأملت التوراة والإنجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها . وهذا حقيقة قول المسيح : أجيئكم بالأمثال ويجيئكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء[١] .

وتأمل قول النبى ﷺ وقد سئل ما أول أمرك قال : أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى[٢] .

(١) هداية الحيارى ٦٣ .
(٢) هداية الحيارى ٦٤ .

سؤال رقم

٤

مَنْ هو
المؤسس الحقيقي للإسلام ؟

حينما ننظر إلى الفئات التى أنعم الله تعالى عليها فى قوله عز من قائل[١]: ﴿**ومن يُطِع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما**﴾ نتبين أن ثمة نعمتين اثنتين هما محض فضلٍ من الله تعالى. وهاتان النعمتان هما نعمة الرسالة ونعمة النبوة. والمعروف أن نعمة النبوة هى الطريق الوحيد المؤدى إلى نعمة الرسالة، ولذا فإن فى ذكر النبيين على رأس قائمة المنعم عليهم ذكراً ضمنياً لنعمة الرسالة التى جاءت الإشارة إليها فى القول: ﴿**ومن يطع الله والرسول**﴾ ولما كانت درجة النبوة هى الطريق الوحيد المؤدى إلى درجة الرسالة الأعلى كان فى هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب[٢]: ﴿**ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. وكان الله بكل شىءٍ عليما**﴾ وصفٌ للمصطفى ﷺ بأنه خاتم النبيين، لان فى إغلاق باب النبوة الطريق الوحيد المؤدى إلى الدرجة الأعلى درجة الرسالة إغلاقاً ضمنياً لدرجة الرسالة الأعلى، وهذا من باب الأولى والأحرى.

أما وقد تبين أن درجتى النبوة والرسالة محض فضلٍ من الله تعالى على المصطَفَيْن من عباده جل وعلا الأخيار، وأن محمد بن عبد الله ﷺ قد أنعم الله تعالى عليه بأنه خاتم النبيين وأشرف المرسلين، فإن ذلك كله معناه أن محمد بن عبد الله ﷺ الذى أرسله الله تعالى بدين الاسلام الناسخ لكل دينٍ سواه والذى أوحى الله تعالى إليه القرآن الكريم لا يدله فى فضل الله تعالى العظيم الذى أسبغه الله تعالى عليه واصطفاه به. وما أكثر الآيات الكريمات فى معرض المن من الله تعالى على رسوله الكريم ﷺ. قال تعالى[٣]: ﴿**وما كنت ترجو أن يُلْقَى إليك الكتابُ إلا رحمةً من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين**﴾ وقال تعالى[٤]: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراطٍ مستقيم. صراط الله الذى له ما فى السموات ومافى الأرض. ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ وقال تعالى[٥]: ﴿**ولولا فضلُ الله عليك ورحمتُه لهمت طائفةٌ منهم أن يضلوك**

---

(١) سورة النساء الآية ٦٩، ٧٠.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠.
(٣) سورة القصص الآية ٨٦.
(٤) سورة الشورى الآية ٥٢، ٥٣.
(٥) سورة النساء الآية ١١٣.

وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء. وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ وقال تعالى[١]: **﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون. نحن نقص عليك أحسن القَصَص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾** وقال تعالى[٢]: **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتابٍ ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون. بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أتوا العلم. وما يجحد بآياتنا الظالمون﴾** وقال تعالى[٣]: **﴿وإذا جاءتهم آيةٌ قالوا لن نؤمن حتى نُؤتَى مِثْلَما أوتِى رُسُل الله. الله أعلم حيث يجعل رسالته. سيصيب الذين أجرموا صغارٌ عند الله وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يمكرون﴾**.

من الآيات الكريمات السابقات وغيرها من الآيات الكريمات يتبين أن محمد بن عبد الله ﷺ الرسول النبى الامى ما كان يدرى قبل أن يصطفيه الله تعالى بنعمة النبوة ما الكتاب ولا الإيمان ولا الوحى. إن المصطفى ﷺ حينما كان فى غار حراءٍ يعبد الله تعالى على دين إبراهيم عليه السلام جاءه الحق وجاءه المَلَك جبريل عليه السلام بأولى قطرات غيث القرآن الكريم، بالآيات الأُوَل من سورة العلق: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾**[٤] لقد أكرم الله تعالى حبيبه المصطفى ﷺ بنعمتى النبوة والرسالة وبالقرآن الكريم، وبالحكمة بمعنى السنة النبوية المطهرة، وبنعمة ختم النبوة وبالرسالة الخاتمة، وبدين الاسلام الذى قال الله تعالى فيه[٥]: **﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾** وقال تعالى[٦]: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾** وقال تعالى[٧]: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾** وقال تعالى[٨]: **﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** وقال تعالى[٩]: **﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره**

---

(١) سورة يوسف الآية ٢، ٣.
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨، ٤٩.
(٣) سورة الأنعام ١٢٤.
(٤) انظر هنا مثلاً فتح البارى ١/ ٢٢ فما بعدها.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٩.
(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥.
(٧) سورة المائدة الآية ٣.
(٨) سورة التوبة الآية ٣٣ والصف الآية ٩.
(٩) سورة الفتح الآية ٢٨.

على الدين كله. وكفى بالله شهيداً﴾ وقال تعالى[١]: **﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** .

من كل ما سبق يتبين أن الاسلام هو الدين الذى أرسل الله تعالى به خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ واصطفاه به وأوحاه إليه دون أن يكون منه ﷺ قبل أن يوحى الله تعالى إليه علمٌ بشىءٍ من ذلك الفضل العظيم عليه فضلاً عن أن يكون منه عليه الصلاة والسلام تطلعٌ إلى تلك النعم والآلاء. إن الله سبحانه وتعالى هو الذى أرسل محمد بن عبد الله ﷺ بدين الإسلام.

(١) سورة النحل الآية ١٢٣ .

سؤال رقم

٥

نرجوكم أن تقدموا عرضاً مختصرا

عن الإسلام من حيث :

* العقيدة :
* أركان الإسلام
* المراتب الدينية في الإسلام
* أنواع الوحي في الإسلام

نود أن نجيب عن هذا السؤال وفق ترتيب العناصر فى السؤال .

عقيدة التوحيد :

سبق لنا ، بشأن السؤال الذى يطلب ذكر ثلاث نقاط تميز الإسلام عن النصرانية ، أن أشرنا إلى أولى النقاط وأهمها وهى توحيد الله تعالى . وقد استشهدنا على ذلك ببعض آيى القرآن الكريم ، ومن هذه الآيات الكريمات سورة الإخلاص . قال تعالى : ﴿**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد**﴾ .

أركان الإسلام :

أركان الإسلام خمسة :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

إقام الصلاة .

إيتاء الزكاة .

صوم رمضان

حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا(١) .

المراتب الدينية فى الإسلام :

انطلاقاً من قوله تعالى فى سورة الحجرات(٢) : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليمٌ خبير**﴾ وبناءً على الحديث النبوى الشريف(٣) : إنما الاعمال بالنيات ، ولما كانت التقوى محلها القلب ولا يعلم ما فى القلب إلا الله تعالى كان فى الإسلام مراتب ، يعلم الله تعالى وحده لا شريك له من استمسك بتعاليمها وأدركها .

إن ثمة ثلاث مراتب متدرجةً إلى الأعلى وهى الإسلام والإيمان والإحسان .

أما الإسلام فقد عرفنا أركانه الخمسة .

---

(١) انظر مثلاً صحيح البخارى ١/ ٩ وهذه الأركان فى الحديث المتفق عليه .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣) انظر مثلاً صحيح البخارى ١/ ٢١ .

وأما الإيمان فإن أركانه ستة نص عليها الحديث النبوى الشريف وهى : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره(١) .

وأما الإحسان فإنه ركنٌ واحدٌ نص عليه الحديث النبوى الشريف وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك(٢) .

وإذا كانت مرتبة الإسلام تفضى إلى مرتبة الإيمان، وكانت مرتبة الإيمان تفضى إلى مرتبة الإحسان، أرفع الدرجات الثلاث، فإن بين أركان الإسلام والإيمان نوعاً من التداخل نستطيع أن نتبينه حينما نتدبر أركان الإسلام وأركان الإيمان .

إنه بناءً على التداخل بين أركان الإسلام وأركان الإيمان كان ثمة تداخل بين هاتين المرتبتين .

وتفسير ذلك أن الإسلام يبدأ بالنطق بالشهادتين شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بمعنى أن الشّهادتين هما الرّكن الأوّل من أركان الإسلام . ولمّا كان النطق بالشهادتين من عمل اللسان الدال على اعتقاد القلب وكان بحاجةٍ إلى الدليل على صدق النطق بالشهادتين وصحة المعتقد فقد تحقق ذلك الدليل فى بقية أركان الإسلام، وهى : أولاً: إقامة الصلاة المفروضة وهى خمس صلواتٍ فى اليوم والليلة، ركعتان فى الفجر وأربعٌ فى كلٍّ من الظهر والعصر وثلاثٌ فى المغرب وأربعٌ فى العشاء . وثانياً : إيتاء الزكاة فى أربعة أصنافٍ من المال، وهى أكثر الأموال دوراً بين الخلق، وحاجتهم إليها ضرورية . أحدها : الزرع والثمار. الثانية : بهيمة الأنعام، الإبل والبقر والغنم . الثالث : الجوهران اللذان بهما قوام العالم وهما الذهب والفضة . الرابع : أموال التجارة على اختلاف أنواعها(٣) وتتفاوت الزكاة بين الاثنين والنصف فى المائة وبين العشرين فى المائة . إن ما يعثر عليه فى الأرض من دفائن وكنوز وثروات طبيعية، وهو ما يسمَّى بالرّكاز، يشترط إخراج زكاته على الفور ومقدارها الخُمُس أى عشرون فى المائة . وتجب الزكاة بشرطين إذا حال الحول وصح ملك النصاب . وفيما يتصل بالزروع والثمار تجب على الفور لقوله تعالى(٤) : ﴿**وآتوا حقه يوم حصاده**﴾ . وثالثاً صيام شهر رمضان ورابعاً

(١) متن الأربعين النووية ٣١ وصحيح البخارى ١/ ٢٠ .
(٢) صحيح البخارى ١/ ٢٠ .
(٣) زاد المعاد ١/ ١٨١ .
(٤) سورة الأنعام الآية ١٤١ .

حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا مرةً واحدةً فى العمر.

فإذا تحولنا إلى أركان الإيمان تبينا أنها هى أن تؤمن بالله تعالى، ويلتقى هذا الركن مع الرّكن الأول من أركان الإسلام وهو الشهادتان، وأن تؤمن بملائكته، وتؤمن بكتبه ومنها القرآن الكريم، وتؤمن برسله، ومنهم خاتمهم وأشرفهم محمد بن عبد الله ﷺ، ويلتقى هذا الركن مع الركن الأول من أركان الإسلام أيضاً، وأن تؤمن باليوم الآخر يوم القيامة وبالبعث والحساب فالثواب أو العقاب، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وذلك بأن تعتقد بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ويظل المسلم يتقرب إلى الله تعالى بما فرض عليه من واجبات وسن له من نوافل، ويظل يتقلب فى درجات الإسلام والإيمان حتى يصل إلى قمة الإسلام والايمان وهى مرحلة الاستسلام المطلق للذات العلية. إن مرحلة الاستسلام هذه يطلق عليها لفظ الإسلام كذلك. وكأن لفظة الإسلام تمثل أولى درجات الإسلام بإعلان الدخول فى الإسلام وذلك بالنطق بالشهادتين، وتمثل أعلى درجات الإيمان بين يدى درجة الإحسان ذات الركن الواحد الذى تبينا من ذى قبل.

وإذا كان الإحسان ركناً واحداً وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فإن هذا الإحسان يكاد يكون له وجهٌ آخر وهو تقوى الله تعالى بمعنى خوفه جل وعلا فى السر والعلن وفعل الأوامر واجتناب النواهى.

وهكذا يتبين أن درجة الإحسان إذا كانت ذات ركنٍ واحد فإن درجتى الإسلام والإيمان المفضيتين إليها متداخلتان بحيث إن الإسلام إذا كان من جهة الابتداء يمثل بداية الدخول فى دين الإسلام فإنه من جهة الانتهاء يصح أن يمثل نهاية درجة الايمان. ومن الآيات الكريمات التى تدل على الإسلام فى أولى درجاته قوله تعالى[1]: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم**﴾ وقوله تعالى[2]: ﴿**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم**﴾ ومن الآيات الكريمات التى تدل على الإسلام فى رفيع درجاته قوله تعالى[3]: ﴿**قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمِرت أن أُسْلِمَ لرب**

(١) سورة الحجرات الآية ١٤.
(٢) سورة التوبة الآية ٧٤.
(٣) سورة غافر الآية ٦٦.

العالمين﴾. وقوله تعالى[١] : ﴿قل إن هدى الله هو الهدى وأُمِرْنا لنُسْلِم لرب العالمين﴾.

أنواع الوحى :

فى الإسلام ثلاثة أنواعٍ من الوحى .
القرآن الكريم .
الحديث القدسى .
الحديث النبوى الشريف .

وإن كلاًّ من هذه الأنواع الثلاثة من الوحى بحاجةٍ إلى تبيين يتضح منه ما بينها من فروق .

القرآن الكريم :

هو كلام الله تعالى المتعبد بتلاوته الموحى به بواسطة رسولٍ من الملائكة كريم، هو جبريل عليه السلام أمين الله تعالى على وحيه، إلى رسولٍ من البشر كريم، هو محمد بن عبد الله ﷺ، المتحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثل سورةٍ واحدةٍ من أقصر سوره. فالقرآن الكريم موحًى به لفظاً ومعنًى، ومتواتر اللفظ فى نقله، وتجب روايته وتلاوته بلفظه .

الحديث القدسى :

هو ما يرويه الرسول ﷺ عن ربه جل وعلا. فالمعنى من الله تعالى ويغلب على الحديث القدسى أن يكون اللفظ من الله تعالى. والحديث القدسى غير متحدًّى به، ولا يشترط التواتر فى نقله، ويجوز روايته بالمعنى عند الحاجة. والحديث القدسى يكون الإيحاء به بواسطة جبريل عليه السلام وعن طريق الرؤيا[٢] .

الحديث النبوى الشريف :

الحديث النبوى الشريف موحىً به من الله تعالى من جهة المعنى، أما لفظه فمن المصطفى ﷺ الذى خصه الله تعالى بجوامع الكلم، أى بالكلام القليل الألفاظ الكثير

(١) سورة الأنعام الآية ٧١ .
(٢)انظر هنا أدب الأحاديث القدسية . د. أحمد الشرباصى ٩، ١٠ .

المعانى. جاء فى نعت النبى ﷺ فى سورة النجم[١] قوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحىٌ يوحى**﴾.

والحديث النبوى الشريف جزءٌ من السنة النبوية المطهرة. والسنة النبوية المطهرة عبارةٌ عن أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته. والمراد بتقريراته ﷺ ما أقر غيره على فعله فعلى سبيل المثال أُكل الضَّبُّ على مائدة المصطفى ﷺ، فَعُلِمَ أن أكله حلال مع أن النبى ﷺ لا يأكله لان نفسه عليه الصلاة والسلام تعافه. والمراد بصفاته ﷺ شمائله عليه الصلاة والسلام. ومِنْ ألطف الكتب فى هذا الفن كتاب: الشّمائل المحمدية للإمام أبى عيسى محمد بن سَوْرة الترمذى صاحب سنن الترمذى. ويشتمل كتاب الشّمائل المحمدية على ثلاثمائة وسبعةٍ وتسعين حديثاً[٢].

(١) سورة النجم الآية ٣، ٤.
(٢) الشمائل المحمدية ٣.

سؤال رقم

٦

* كيف ينظر الإسلام إلى الأديان الأخرى ؟
* وهل يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من هذه الأديان لتحسين طرق ممارستهم لدينهم ؟
* وهل يقبل الإسلام نظرية توحيد الأديان وهو ما يُعْرَف بالمسكونية ؟

سيكون الجواب على هذا السؤال بأجزائه الثلاثة على النحو التالى الذى سيتبين منه أنه يركز على الجزء الأول، المتعلق بنظرة الإسلام إلى الأديان الأخرى، وبناءً على هذه النظرة يكون موقف الإسلام من الجزءين الأخيرين من السؤال.

إنه بالنظر إلى الأديان كلها ومنها الإسلام يتبين أن ثمة مجموعتين من الأديان. المجموعة الأولى السماوية، ويمثلها بناءً على تاريخ الوجود كلٌّ من اليهودية والنصرانية والإسلام. لقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام وأوحى إليه التوراة، وأرسل عيسى عليه السلام وأوحى إليه الإنجيل. وإن موسى عليه السلام كبير أنبياء بنى إسرائيل، وإن عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل. وأرسل الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وأوحى إليه القرآن الكريم. وإن محمد بن عبد الله ﷺ هو النبى الوحيد من من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فى حين أن كل أنبياء بنى إسرائيل من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام.

والمجموعة الأخرى الأديان غير السماوية.

وإن هذه الآية الكريمة من سورة الحج[1]: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة. إن الله على كل شيءٍ شهيد**﴾ تشير إلى الأديان الستة[2] عن طريق الإشارة إلى أتباعها وهم المسلمون واليهود والصابئون والنصارى والمجوس عبدة النار والذين أشركوا.

إن دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ يعترف باليهودية والنصرانية باعتبارهما دينين سماويين بعث الله تعالى موسى عليه السلام بأولهما وأنزل عليه التوراة، وبعث عيسى عليه السلام بآخرهما وأنزل عليه الإنجيل. وإن إطلاق اعتراف الإسلام باليهودية والنصرانية بحاجةٍ إلى تقييد أو توضيح سنتبينه إن شاء الله تعالى مستقبلا. ولا يعترف الاسلام بغير هذين الدينين السماويين.

وحينما لا يعترف الإسلام بالأديان غير السماوية أصلاً فذلك معناه أن الجزءين الأخيرين من السؤال لا معنى لهما، لان الاسلام إذا كان لا يعترف بالاديان غير السماوية فلا معنى إذن للسؤال عن إمكان اقتباس الإسلام دين التوحيد من أديان الشرك

---

(١) سورة الحج الآية ١٧.

(٢) هذه الآية الكريمة تلقب بآية الفَصْل. انظر هداية الحيارى ١٢.

الوضعية البشرية فضلاً عن الاتحاد معها أو الاندماج فيها .

وكأن السؤال بأجزائه الثلاثة يتعلق باليهودية والنصرانية وحدهما وقد وعدنا بتوضيح معنى القول : إن الإسلام يعترف باليهودية والنصرانية .

لقد بعث الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الكاملة من دين الاسلام، الحنيفية السمحة دين أبينا إبراهيم عليه السلام . وبذلك نسخ دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ كل دينٍ سماوى سواه، بما فى ذلك اليهودية والنصرانية الدينين السماويين . إن الله سبحانه وتعالى ما بعث نبياً إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد وتصديقه كما قال تعالى[١] : ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصرى[٢] قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾ . قال ابن عباس : ما بعث الله من نبيٍ إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعِث محمد وهو حى ليومنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياءٌ ليؤمنن به وليتابعنه[٣] إن موسى عليه السلام سأل ربه جل وعلا أن يكتب له ولقومه الحسنة فى الأولى والآخرة فكان الجواب من الله تعالى بأن اتباع محمد بن عبد الله ﷺ - حينما يبعث - من شروط رحمة الله تعالى التى وسعت كل شىء . قال تعالى[٤] : ﴿**واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنةً وفى الآخرة إنا هدنا إليك . قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : **والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار**» . رواه مسلم[٥] .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨١ .

(٢) إصرى : عهدى تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ .

(٣) هداية الحيارى ٥١ والرسالة التدمرية ٥٤ وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٤ .

وبشأن تأييد الجواب بالنفى على السؤال: هل يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من هذه الأديان لتحسين طرق ممارستهم لدينهم نود أن نشير إلى:

(أ) ما آل إليه حال اليهود والنصارى فى مجال الدين من حيث العقيدة، وتحريف الكتابين السماويين، وتبديل الدين.

(ب) ما آل إليه حال الصلاة فى كلٍّ من اليهودية والنصرانية باعتبار الصلاة فى الإسلام عماد الدين وأهم أركانه بعد الشهادتين.

(أ) حال اليهود والنصارى فى مجال الدين:

قال تعالى[١]: ﴿**وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون[٢] قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أَنَّى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾ وجاء عن بنى إسرائيل فى سورة النساء[٣] قوله تعالى: ﴿**فبما نَقْضِهِمْ ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقٍ وقولهم قلوبنا غلف. بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم. وإن الذين اختلفوا فيه لفى شكٍ منه. ما لهم به مِنْ علمٍ إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا. بل رفع الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما. وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا. فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا. وأخذهم الرِّبا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل. وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما**﴾ وجاء عن النصارى أتباع عيسى عليه السلام قوله تعالى[٤]: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربّكم إنه من يُشْرِكْ بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد. وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذابٌ أليم.**

(١) سورة التوبة الآية ٣٠، ٣١.
(٢) يضاهئون: يشابهون.
(٣) سورة النساء الآيات من ١٥٥ - ١٦١.
(٤) سورة المائدة الآية ٧٢ - ٧٥.

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه. والله غفورٌ رحيم. ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقةٌ كانا يأكلان الطعام. انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾.

وما أشد تحريف كلٍ من اليهود والنصارى لنصوص التوراة والإنجيل وتعاليم الدين.

وإليك هذه الاقتباسات. جاء فى كتاب إفحام اليهود[١]: «فصل فى ذكر طرفٍ من كفرهم وتبديلهم. . . . ولهذه الطائفة من فنون الضلال والاختلال، ما تنأى عن مثله العقول، ويخالفه المعقول والمشروع.

فمن ذلك أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم، وعلمهم بالغضب الممدود عليهم يقولون فى كل يومٍ فى صلواتهم: إنهم أبناء الله وأحباؤه[٢] ذلك قولهم كل يومٍ فى الصلوات. . .

وينتظرون قائماً يأتيهم من آل داود النبى إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الامم ولا يبقى إلا اليهود.

وأن هذا المنتظر - بزعمهم - هو المسيح الذى وُعِدوا به.

وقد كان الأنبياء عليهم السلام ضربوا لهم أمثالاً أشاروا بها إلى جلالة دين المسيح وخضوع الجبارين لاهل مِلَّته وإتيانه بالنَّسْخ العظيم. فمن ذلك قول يشعيا فى نبوءته. . . إن الذئب والكبش يرعيان جميعاً، ويربُضان معا، وإن البقرة والدب يرعيان جميعاً، وإن الأسد يأكل التبن كالبقرة.

فلم يفهموا من تلك الأمثال إلا صورها الحسية دون معانيها العقلية، فتولوا عن الإيمان بالمسيح عند مبعثه، وأقاموا ينتظرون الأسد حتى يأكل التبن، وتصح لهم حينئذٍ علامة المسيح . . . . وسبيلهم ألا يعدلوا عن تتبع الأسود فى غاباتهم وطرح التبن بين أيديها ليعلموا وقت أكلها إياه.

وأيضاً فإنهم فى العشر الأُول من كل سنةٍ يقولون فى صلواتهم. . . . وسيكون لله

---

(١) ١٢٤ فما بعدها.

(٢) إلى ذلك أشارت الآية الكريمة ١٨ من سورة المائدة.

الملك، وفى ذلك اليوم يكون الله واحداً ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته.

فأما مادامت الدولة لغير اليهود فإن الله خامل الذكر عن اللأمم، وأنه مطعونٌ فى ملكه، مشكوكٌ فى قدرته... ومما ينخرط فى هذا السلك قولهم... انتبه لِمَ تنام يارب استيقظ من رقدتك.

وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصَّغار، وانتظار الفرج لا يزداد منهم إلا بعدا.

فأوقعهم ذلك فى الطيش والضجر وأخرجهم إلى نوعٍ من التزندق والهذيان الذى لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة. فتجرأوا على الله بهذه المناجاة القبيحة...

ومن ذلك أنهم ينسبون إلى الله - سبحانه وتعالى - الندم على ما يفعل، فمن ذلك قولهم فى التوراة التى بأيديهم.... وندم الله على خلق البشر فى الارض وشق عليه....»

ويعلق الإمام المهتدى السموءل بن يحيى المغربى مؤلف إفحام اليهود على هذا الطرف من كفرهم وتبديلهم بالقول(١): «ولسنا نرى أن هذه الكفريات كانت فى التوراة المنزلة على موسى صلوات الله عليه» ويقول(٢): «علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحدٌ من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة» ويقول(٣): «فهذه التوراة التى بأيديهم - على الحقيقة - كتاب عِزْرا(٤) وليس كتاب الله».

وإذا كانت هذه الاقتباسات متعلقةً باليهود فإليك هذه الاقتباسات المتعلقة بالنصارى كى يتبين المدى البعيد لانحراف النصارى عن دين المسيح ابن مريم عليه السلام وذلك على غرار انحراف اليهود عن دين موسى عليه السلام.

جاء فى كتاب هداية الحيارى(٥) لابن القيم ما يلى: «والنصارى لا يقرون أن

(١) إفحام اليهود ١٣٥ .
(٢) إفحام اليهود ١٣٥ .
(٣) إفحام اليهود ١٤٠ .
(٤) عِزْرا الوراق أو الناسخ هو كاتب التوراة التى بأيدى اليهود الآن كتبها قبل بعثة المسيح عليه السلام بخمسمائة وخمسٍ وأربعين سنة. إفحام اليهود هامش رقم (١) .
(٥) هداية الحيارى ٤٨ .

الإنجيل منزلٌ من عند الله على المسيح وأنه كلام الله؛ بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمانٍ مختلفة ولا يعرفون الإنجيل غير هذا. إنجيلٌ ألفه مَتَّى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح وكُتِبَ بالعبرانية فى بلد يهود بالشام. وإنجيلٌ ألفه مرقس الهارونى تلميذ شمعون بعد ثلاثٍ وعشرين سنةً من رفع المسيح وكتبه باليونانية فى بلاد أنطاكية من بلاد الروم، ويقولون إن شمعون المذكور هو ألفه ثم محى اسمه من أوله ونسب إلى تلميذه مرقس. وإنجيل ألّفه لوقا الطّبيب الأنطاكىّ تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس. وإنجيلٌ ألفه يوحنا تلميذ المسيح بعدما رُفِعَ المسيح ببضعٍ وستين سنة، كتبه باليونانية. وكل واحدٍ من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل. وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها».

ويقول ابن القيم[١]: «والنصارى إنما تؤمن بمسيحٍ دعا إلى عبادة نفسه وأمه وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله وابن الله» علماً بأن أتباع المسيح عليه السلام ظلوا يسيرون على خطواته قرابة ثلاثمائة سنة ثم غيروا وبدلوا. يقول ابن القيم[٢]: «ومازال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم فى التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة.

فرأوا اليهود قد قالوا فى المسيح إنه ساحرٌ مجنون ممخرق ولد زنية فقالوا: هو إلهٌ تامٌّ وهو ابن الله. ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان. ورأوهم يبالغون فى الطهارة فتركوها جملة. ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها. ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه وجعلوه شعار دينهم. ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة وقالوا: كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج. ورأوهم يستقبلون بيت المقدس فى الصلاة فاستقبلوا هم المشرق. ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعةٍ شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا ويحللوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا. ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الاحد وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه. ورأوهم ينفرون من الصليب فإن فى التوراة: ملعونٌ من تعلق بالصليب، والنصارى تقر بهذا فعبدوا هم الصليب.

(١) هداية الحيارى ٦٥ وانظر الصفحات ٨، ٢١، ٤٨.
(٢) هداية الحيارى ١٤٢.

كما أن فى التوراة تحريم الخنزير نصاً فتعبدوا هم بأكله. وفيها الأمر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع إقرار النصارى بأن المسيح قال لأصحابه: إنما جئتكم لأعمل بالتوراة ووصايا الأنبياء قبلى. وما جئت ناقضاً بل متمما. ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى، فذهبت النصارى تنقضها شريعةً شريعةً فى مكايدة اليهود ومغايظتهم».

وابن القيم يسأل فى إنكار[١]: «وكيف يكون فى الإنجيل الذى أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له وأنه أصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى. وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلا»[٢].

ونكتفى بهذه الاقتباسات القليلة التى تدل على تبديل القوم دينهم.

(ب) ما آل إليه حال الصلاة فى اليهودية والنصرانية..

الصلاة فى الإسلام عماد الدين. وإذا كان رب العزة قد فرض الصلاة على المصطفى ﷺ فى السماوات العُلَى ليلة المعراج لأهميتها، فإن جبريل عليه السلام فى صبيحة اليوم التالى علم المصطفى ﷺ الصلاة وأوقاتها على النحو المعروف[٣] وعلم المصطفى ﷺ أمته كذلك، ولا زال المسلمون يصلون وسيظلون يصلون بإذن الله تعالى إلى يوم الدين كما كان عليه الصلاة والسلام يصلى.

انظر فى المقابل إلى تطور الصلاة عند كلٍ من اليهود والنصارى. بعد أن ذكر الإمام المهتدى السموءل بن يحيى المغربى[٤] البلاء الذى حل ببنى إسرائيل من ملوكهم قبل غيرهم فى جميع المجالات، ومنها الدينية لدرجة أنهم تركوا أحكام التوراة والشرع مدةً طويلةً وأعصاراً متصلة وعبدوا الأصنام تحدث عما ابتدعه اليهود بشأن الصلاة فى ظل حكم الفرس فى قديم الزمان، يقول[٥]: «فإن الفرس كثيراً ما منعوهم عن الختانة،

(١) هداية الحيارى ٤٨.
(٢) انظر ما ذكره ابن القيم فى هداية الحيارى ٢٠ عما فى كتبهم عن الصليب والصلب.
(٣) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ٨٣.
(٤) انظر إفحام اليهود ١٤٣ - ١٤٥.
(٥) إفحام اليهود ١٤٥.

وكثيراً ما منعوهم عن الصلاة لمعرفتهم أن معظم صلوات هذه الطائفة دعاءٌ على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب، سوى بلادهم التى هى أرض كنعان.

فلما رأت اليهود الجِدّ من الفرس فى منعهم عن الصلاة اخترعوا أدعية مزجوا بها فصولاً من صلاتهم وسموها الخزانة وصاغوا لها ألحاناً عديدة وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها.

والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة أن الصلاة بغير لحن وأن المصلى يتلو الصلاة وحده ولا يجهر معه غيره، وأما الخَزّان فيشاركه جماعة فى الجهر بالخزانة ويعاونونه فى الألحان. فكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم زعمت اليهود أنهم يغنون أحيانا، وينوحون أحياناً على أنفسهم، فتركوهم وذلك.

ومن العَجَب أن دولة الإسلام لما جاءت مقرةً للذمة على أديانها وصارت الصلاة مباحةً لهم صارت الخزانة عند اليهود من السنن المستحبة فى الأعياد والمواسم والأفراح، يجعلونها عِوَضاً عن الصلاة ويستغنون بها عنها من غير ضرورةٍ تبعثهم على ذلك».

فإذا تحولنا إلى النصارى تبيّنّا أنهم خالفوا عيسى عليه السلام بشأنها كما خالف بنو إسرائيل موسى عليه السلام. يقول ابن القيم[1] فى هذا الشأن: «... فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة، ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض. وطوائف الناصرى عندهم أن ذلك كله غير واجب وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة ويبول ويتغوط ولا يمس ماءً ولا يستجمر. والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخده ويصلى كذلك وصلاته صحيحةٌ تامة. ولو تغوط وبال وهو يصلى لم يضره فضلاً عن أن يفسو أو يضرط. ويقولون إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذٍ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين. ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه.

وهذه الصلاة، رب العالمين برىءٌ منها وكذلك المسيح وسائر النبيين، فإن هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة. وحاش المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحدٍ من الحواريين. والمسيح كان يقرأ فى صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرءونه فى صلاتهم

(١) هداية الحيارى ١٤١ .

من التوراة والزبور. وطوائف النصارى إنما يقرءون فى صلاتهم كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجرى مجرى النوح والأغانى فيقولون: هذا قداس فلان وهذا قداس فلان، ينسبونه إلى الذين وضعوه، وهم يصلون إلى الشرق، وما صلى المسيح إلى الشرق قط. وما صلى إلى أن توفاه الله إلا إلى بيت المقدس، وهى قبلة داود والأنبياء قبله وقبلة بنى إسرائيل» ويقول ابن تيمية فى الرسالة القبرصية[١]: «ثم إن الصلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون ابتدعها قسطنطين[٢] أو غيره. وكذلك الصليب إنما ابتدعه قسطنطين برأيه وبمنامٍ زعم أنه رآه.

وأما المسيح والحواريون فلم يأمروا بشىءٍ من ذلك.

. . . . وكذلك إدخال الألحان فى الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون.

وبالجملة فعامة أنواع العبادات والأعياد التى هم عليها لم يُنْزِل بها الله كتاباً ولا بعث بها رسولاً»

لعل فيما سبق الدليل الكافي والجواب الشافي على جزئي السؤال: هل يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من هذه الأديان لتحسين طرق ممارساتهم لدينهم؟ وهل يقبل الاسلام نظرية توحيد الاديان؟

إن على الناس جميعا ان يعتنقوا دين الاسلام الذي بعث الله تعالى به خاتم النبيين واشرف المرسلين كي يكونوا جزءا لا يتجزأ من خير أمة اخرجت للناس.

---

(١) ٤٦، ٤٧.

(٢) قسطنطين رجلٌ رفعه النصارى على سرير الاباطرة سنة ٣٠٥م وانتصرت به النصرانية انتصارا عظيما في ميدان القتال، ولكنها انهزمت به انهزاما شنيعا في معترك الأديان.

سؤال رقم

٧

ما الموقف الصحيح الذي على المسلم أن يتّخذه إزاء غير المسلمين ؟

لا ينهى الله تعالى المسلمين أن يكونوا بارين بغير المسلمين عادلين معهم إذا لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم، على حين ينهى الله تعالى المسلمين عن أن يوالوا الذين قاتلوهم فى الدين وأخرجوهم من ديارهم وأعانوا الذين أخرجوهم من ديارهم. قال تعالى[١]: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم. إن الله يحب المقسطين[٢] إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾ وبسبب تطبيق المسلمين هذه التعاليم السماوية السامية تبينا أن زهاء ثلثى العالم الإسلامى فتحهما الدين الإسلامى بذاته، فقد وصلهما الدعاة إلى سبيل ربهم جل وعلا، علماً بأن المجاهدين فى سبيل الله تعالى فتحوا قلوب الذين انتهى إليهم الإنقاذ الإسلامى بحسن أخلاقهم وطيب معاملتهم غير المسلمين، قبل أن يفتحوا تلك البلاد جهاداً فى سبيل الله تعالى.

وهكذا فتح الدعاة إلى الله تعالى، وفيهم المجاهدون، البلاد التى وصلوا إليها لانهم ترجموا إلى عمل معنى قوله تعالى[٣]: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن. إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ ومعنى قوله تعالى[٤]: ﴿**ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ ومعنى قوله تعالى[٥]: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحدٌ ونحن له مسلمون**﴾.

إن للخَلَف أسوةً حسنةً فى السلف الصالح، وإن على المسلم أن ينظر إلى غير المسلم على أنه شخصٌ يقف على حافةٍ جرفٍ يكاد ينهار به، ليس فقط إلى الهاوية، ولكن إلى هاوية نار جهنم، فعليه أن يجتهد فى محاولة إنقاذه بدعوته إلى الله تعالى وبالإخلاص فى الدعوة، وقد قال تعالى[٦]: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن**

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٨، ٩ .
(٢) المقسطون: العادلون .
(٣) سورة النحل الآية ١٢٥ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .
(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .
(٦) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

الله لمع المحسنين﴾ إن رب العزة يمن على كل من هداه إلى الإسلام، وفيهم الأنصار الأوس والخرج بنعمة الإنقاذ بالإسلام من حافة حفرةٍ وشفا هاويةٍ من نار جهنم. قال تعالى[١]: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها. كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾**.

ومن فضل الله تعالى أن كل من هداه الله تعالى إلى دين الإسلام وشرح صدره لاتباع دين محمد ﷺ لا ينسى لحظةً من اللحظات هذه النعمة العظيمة من الله تعالى عليه وفى الوقت ذاته يعمل جاهداً فى حدود طاقته على مواصلة عملية الإنقاذ من نار جهنم.

وهكذا دخل الناس فى دين الله تعالى أفواجاً وهكذا وصل الإسلام بفضل الله تعالى حيث وصل الليل والنهار.

وإن على كل داعيةٍ إلى الله تعالى أن يتمثل جيداً معنى مثل قوله تعالى، خطاباً للمصطفى ﷺ فى سورة القصص[٢] **﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾** وقوله تعالى[٣]: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً كأنما يصعد فى السماء. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾** إن الآية الكريمة تبين أن الذى يريد الله تعالى له الهداية إلى الصراط المستقيم يشرح صدره لدين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد ابن عبد الله ﷺ، والذى يريد الله سبحانه وتعالى أن يزيده ضلالاً فوق ضلاله يجعل صدره ضيقاً شديد الضيق بسبب ما يملأ ذلك الصدر من شكوك وريب وأباطيل وضلالات وظلمات بحيث إن نور الإسلام لا يجد منفذاً إليه ولا مستقراً فيه. وبسبب تفاقم تلك العلل فى صدر الضال الذى زاده الله تعالى ضلالاً يكون حاله فى مجال المعنويات شبيهاً بحال الذى يزداد صدره فى مجال المحسوسات ضيقاً وحرجاً بسبب صعوده إلى أعلى إلى السماء بسبب ارتفاع الضغط وقلة الاكسجين. وكلما ازداد الصعود ازداد الضيق والحرج. وهكذا لا يزداد المعرض عن الدعوة إلى صراط العزيز الحميد

(١) سوة آل عمران الآية ١٠٣ .
(٢) سورة القصص الآية ٥٦ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

إلا إعراضاً. جاء على لسان نوح عليه السلام قوله عز من قائل[١]: ﴿**وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستَغْشَوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً**﴾.

وإن على كل داعيةٍ أن يعلم بأن عليه البلاغ وحده. وقد قال تعالى مخاطباً حبيبه المصطفى ﷺ فى سورة الرعد[٢]: ﴿**وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغُ وعلينا الحساب**﴾.

بقى علينا أن نعرف أنه لا إكراه فى الدين فلا يرغم أحدٌ على الدخول فى دين الإسلام، وإنْ كان دينُ الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ هو الدين الذى لا يقبل الله تعالى من أى عبدٍ ديناً سواه. قال تعالى[٣]: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾ إن الايمان رشد وإن الكفر غى وإن الراشد هو الذى يختار دين الإسلام الذى أكمله جل وعلا ورضيه لنا وأتم به النعمة علينا، وإنه لا يكره أحدٌ على الدخول فى دين الإسلام. قال تعالى[٤]: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب. فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن. وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم[٥] فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد**﴾ وقال تعالى[٦]: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾ وقال تعالى[٧]: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾.

وهكذا يتبين أن على المسلم أن يكون باراً بغير المسلم عادلاً معه مشفقاً عليه حريصاً على إنقاذه من الجرف الذى يوشك أن ينهار به فى نار جهنم بسبب عدم اعتناقه دين الإسلام الذى لا يقبل الله تعالى من عبدٍ ديناً سواه. إن أهم عملٍ ينبغى أن يقوم به المسلم تجاه غير المسلم أن يدعوه إلى دين الإسلام وإلى سبيل ربه جل وعلا بالحكمة وبالموعظة الحسنة وبالمجادلة وفق الطريقة التى هى أحسن والتى تعكس خلق دين الإسلام العظيم.

---

(١) سورة نوح الآية ٧.
(٢) سورة الرعد الآية ٤٠.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٦.
(٤) سورة آل عمران الآية ١٩، ٢٠.
(٥) أأسلمتم بمعنى أسلموا.
(٦) سورة آل عمران ٨٥.
(٧) سورة المائدة الآية ٣.

سؤال رقم

٨

هل نقول الإسلام أو دين الإسلام أو ديانات الإسلام ؟

إن دين الإسلام واحدٌ فى كل زمانٍ ومكانٍ لان القرآن الكريم قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين، ولأن السنة النبوية المطهرة قد سخر الله تعالى لها جيشاً من العلماء عكفوا على خدمتها وصيانتها، وهذه السنة المطهرة هى المبينة للقرآن الكريم، والمراد بها أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته، وبذلك تسنى للمسلم أن يتخذ من المصطفى ﷺ أسوةً حسنةً له فى مجاله الضيق الذى تخصص فيه، فإن المصطفى ﷺ أسوةٌ حسنةٌ لكل مسلم، لكل ذلك يصح أن نقول: «الإسلام» كما يصح أن نقول: «دين الإسلام» ولا يصح أن نقول: ديانات الإسلام.

لقد نطق القرآن الكريم بكلٍ من «الإسلام» و«دين الإسلام» قال تعالى[١]: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ وقال تعالى[٢]: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ وقال تعالى[٣]: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾ وقال تعالى[٤]: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩ .
(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .
(٤) سورة المائدة الآية ٣ .

سؤال رقم

٩

هل يمكن أن يتحقق للإنسان الخلاص الرّوحي خارج الإسلام ؟

الجواب على هذا السؤال يعتمد على النقل لا العقل ، وقد عرفنا أن ثمة نوعين من الأديان ، أدياناً سماوية كاليهودية والنصرانية ، وأدياناً غير سماوية كوثنية عرب الجاهلية ، ومجوسية فارس قبل الإسلام ، وكبرهمية الهند وبوذية الصين . وقد عرفنا أن الإسلام يعترف بالديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية باعتبارهما ديانتين تابعتين أساساً لرسولين كريمين هما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما عرفنا أن دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ ناسخٌ لديانة كلٍّ من موسى وعيسى عليهما السلام .

وكى تتضح أبعاد الجواب الذى قلنا إنه يعتمد على النقل وحده ، فلا مجال للعقل ولا للاجتهاد فى هذه المسألة المهمة إنما المجال للوحى فإنا نود أن نقتبس من أجل هذه الغاية نصوصاً من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة .

أمر الله سبحانه وتعالى المصطفى ﷺ أن يدعو أهل الكتاب من اليهود والنصارى والأميين من مشركى العرب الذين لا كتاب لهم[١] إلى اعتناق دين الإسلام الذى بعثه الله تعالى به ، فإن أسلموا فقد اهتدوا و إن أعرضوا فليس على المصطفى ﷺ سوى البلاغ ، والله سبحانه وتعالى بصيرٌ بالعباد ، فمن شاء هداه ومن شاء أضله قال تعالى[٢] : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم بغياً بينهم . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن . وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم . فإن أسلموا فقد اهتدوا و إن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد**﴾ .

وحينما جاء وفد نصارى نجران إلى النبى ﷺ وجادلوه فى عيسى عليه السلام وقامت عليهم الحجة وأصروا على المجادلة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نتضرع إلى الله تعالى ونخلص له الدعاء فنجعل لعنة الله تعالى والطرد من رحمته جل وعلا على الكاذبين منا أو منكم . فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية[٣] ودخلوا فى الذمة[٤] وكان وفودهم سنة تسع .

---

(١) تفسير الطبرى ٣/ ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩ ، ٢٠ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٣/ ٢١١ ، ٢١٢ وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٩ والرسالة القبرصية لابن تيمية (نشر الافتاء) ٢٨ وطبع القاهرة ٥٨ .

(٤) الرسالة القبرصية ٢٨ .

وأهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ[١] فإن أعرض وفد نصارى نجران وغيرهم عن الحق فإن الله سبحانه وتعالى عليمٌ بالذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ابتداءً بالإشراك مع الله تعالى غيره والزعم بأن لله سبحانه وتعالى صاحبةً وولدا. ويأمر الله سبحانه وتعالى حبيبه المصطفى ﷺ أن يقول لأهل الكتاب من يهود ونصارى تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ وعدلٍ[٢] بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله تعالى وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فلا يطيع بعضنا بعضاً فى معصية الله تعالى بتحليل ما حرم الله تعالى أو تحريم ما أحل الله تعالى، فإن تولوا وأعرضوا فقولوا يامن آمنتم بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالقرآن الكريم دستورا اشهدوا يا أهل الكتاب بأنّا مسلمون، مستسلمون لله رب العالمين بالخضوع، منقادون له جل وعلا بالطاعة، خالصون من الشرك. قال تعالى[٣]: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. إن هذا لهو القصص الحق وما مِنْ إلهٍ إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم. فإن تولوا فإن الله عليمٌ بالمفسدين. قل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخِذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾.

والله سبحانه وتعالى نهانا نحن المسلمين عن أن نجادل أهل الكتاب من يهود ونصارى إلا بالطريقة التى هى أحسن باستثناء الذين ظلموا منهم فإن جزاء السيئة سيئةٌ مثلها وأمرنا جل وعلا بأن نقول لهم آمنا بالذى أُنْزل إلينا من قرآنٍ كريم وأُنْزل إليكم من توراةٍ وإنجيل وإلهنا وإلهكم واحدٌ لا شريك له ونحن مسلمون لله ربّ العالمين. قال تعالى[٤]: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحدٌ ونحن له مسلمون**﴾.

وجاء فى تفسير ابن كثير[٥] «عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: **والذى نفسى**

---

(١) تفسيرابن كثير ١/ ٣٧٠.
(٢) تفسير الطبرى ٣/ ٢١٤.
(٣) سورة آل عمران الآيات من ٥٩ - ٦٤.
(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٦.
(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٤.

بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار. رواه مسلم. وقال ﷺ: **بعثت إلى الأحمر والأسود. وقال: كان النبى يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس عامة**، وقال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه. أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبى ﷺ وضوءه[1] ويناوله نعليه فمرض فأتاه النبى ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعدٌ عند رأسه، فقال له النبى ﷺ: **يافلان قل لا إله إلا الله**. فنظر إلى أبيه فسكت أبوه. فأعاد عليه النبى ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فقال الغلام: أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله. فخرج النبى ﷺ وهو يقول: **الحمد لله الذى أخرجه بى من النار.** رواه البخارى فى الصحيح».

---

(١) الوضوء بفتح الواو: الماء يتوضأ به.

سؤال رقم

١٠

هل يمكن التّأكيد بأنه عن طريق الإسلام يمكن بناء عالم أخوي ، عالم كما يريده الله تعالى ؟ وما هي السبل لتحقيق ذلك ؟

نعم يمكن التأكيد بأنه عن طريق الإسلام يمكن بناء عالمٍ أخوى، عالم كما يريده الله تعالى.

من المعروف فى الإسلام أن ثمة أسساً وأركاناً يتفق عليها جميع المسلمين فلا يستطيع شخصٌ واحد يدعى الانتماء إلى الإسلام فيزعم أن أركان الإسلام أربعةٌ - مثلا- وليست خمسة كما بين ذلك الصادق المصدوق محمدٌ ﷺ، أو أن يحل ما حرم الله تعالى أو يحرم ما أحل الله تعالى. وقد عرفنا أن القرآن الكريم قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين وأن السنة النبوية المطهرة قد سخر الله تعالى لها جيشاً من العلماء الأخيار الذين انكبوا على خدمتها ونفى الزيف عنها.

وكانت الثمرة اليانعة لكل ذلك تلك الصورة الواحدة أو الشبيهة بالواحدة للمسلمين فى سائر أنحاء الدنيا. والمعروف أن تلك الصورة الواحدة للمسلمين أكثر وضوحاً فى الماضى منها فى الحاضر. إن العالم الإسلامى اليوم، بسبب اصطلاح العلل عليه، الخارجية والداخلية، يمثل الإسلام كما تمثله المرآة التى بها الكثير من الخدوش إن لم يكن الكسور. وإذا كان المسلمون بمثابة تلك الصورة غير السوية، فالمعروف أن التحول من صورةٍ غير سوية إلى صورةٍ سوية أمرٌ ليس بالمستحيل وإن كان صعباً ويحتاج إلى الكثير من العمل والمجهود.

فكيف يستطيع المسلمون اليوم أن يتحولوا من الصورة غير السوية إلى الصورة السوية، أو من الصورة إلى الحقيقة؟

قال النبى ﷺ فى الأحاديث الصحيحة: **خير القرون القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**[1].

وبين يدى الإجابة المباشرة على السؤال المذكور أود أن أشير إلى أمرين اثنين.

الأمر الأول هو أن الحدود التى بينها القرآن الكريم الموحى به إلى المصطفى ﷺ قد طبقها المصطفى ﷺ نفسه، فقتل قاتل المظلوم وقطع يد السارق ورجم الزانى وطبق حدود قطع الطريق، وهكذا. والذى نود أن نقرره هو أن هذه الأحكام التى طبقها المصطفى ﷺ والخلفاء الراشـدون والخلفاء المسـلمون والقضاة ومن إليهم إنما طبقت

(١)الرسالة التدمرية لابن تيمية ٧٤ .

خلال القرون الأولى المفضلة. ومعنى هذا أن بناء العالم الأخوى فى ظل الإسلام فى أى زمانٍ وأى مكان لا يعنى تحول الناس إلى ملائكة لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون، ولكنهم يذنبون ويتوبون إلى الله تعالى توبةً نصوحا. يحدث ذلك فى الوقت الذى تتجه فيه الأمة إلى بارئها جل وعلا أو ما سميناه بالعالم الأخوى الذى بناه الإسلام.

الأمر الآخر هو أن القرون الثلاثة الأول من الإسلام إذا كانت أفضل من القرون التالية فإن هذه القرون التالية حدث فيها تقلّبٌ للمسلمين بين الاستقامة والاعوجاج، بين السير فى الطريق المستقيم والخروج عليه والعودة إليه وهكذا. ومعنى تقلب المسلمين بين الاستقامة والاعوجاج تقلبهم بين الارتفاع والانخفاض بحيث إنهم ينخفضون أحياناً إلى الحضيض ويرقون أحياناً أخرى إلى السُّها[1] وهكذا دواليك. وكيلا يكون الكلام نظرياً أود أن أضرب مثلاً من الواقع. قبل زهاء ثلاثين سنة لم يكن يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلبٍ فى مكة المكرمة سوى أئمة الحرم المكى وبعض العلماء والدارسين والكفيفين. أما اليوم فإن ما يزيد على ألفٍ ومائتى إمامٍ من أبناء جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة يؤمون المصلين فى مساجد مكة المكرمة وَحْدَها خلال شهر رمضان المبارك، فى صلاتى القيام والتهجد، علماً بأن كثيراً من الحفاظ لم يجدوا مساجد شاغرة يؤمون المصلين فيها، وبأنه تخرج هذا العام ١٤١١هـ فى حفظ القرآن الكريم كاملاً مائتان وستة وخمسون حافظاً من أبناء جماعة تحفيظ القرآن الكريم فى مكة المكرمة. وقل الشىء ذاته عن سائر المدن بل القرى فى المملكة العربية السعودية.

بعد هذا التمهيد أود أن أجيب بطريقٍ مباشر عن الكيفية التي يمكن عن طريقها بناء عالم أخوى كما يريده الله تعالى: إن الكيفية تتلخص فى طاعة الله تعالى طاعةً مطلقةً وطاعة رسوله ﷺ طاعةً مطلقةً وذلك باتخاذه ﷺ أسوةً حسنة. قال تعالى[2]: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شيءٍ فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا**﴾. وقال تعالى[3]: ﴿**لقد كان لكم فى رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر**

(١) السُّها والسُّهى بضم السين: كوكبٌ خفىٌّ من بنات نعشٍ الصغرى.
(٢) سورة النساء الآية ٥٩.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١.

الله كثيرا﴾ .

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يطيعوه جل وعلا طاعةً مطلقةً وبأن يطيعوا الرسول ﷺ طاعةً مطلقة، وإنما تكون طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ عن طريق اتباع القرآن الكريم الذي بينت سنة المصطفى ﷺ معانيه وفصلت مجمله وكشفت غامضه وقد قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ فى سورة النحل[١] : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ .

وإذا كان من معجزات دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ أن القرآن الكريم، معجزة هذا الدين الكبرى، قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين . قال تعالى[٢] : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ فإن من معجزات هذا الدين أن هذا الكتاب العزيز معجزٌ بكل ما يُعْطِى وبما يمنع ، ومما أعطى القرآن الكريم لنا نحن المسلمين أن لنا فى المصطفى ﷺ أسوةً حسنة . قال عز من قائل[٣] : ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ .

إنا حينما ننظر إلى الإنسانية منذ عهد أبينا آدم عليه السلام مروراً بأول المرسلين نوح عليه السلام وبأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وبكبير أنبياء بنى إسرائيل موسى عليه السلام، وبآخر أنبياء بنى إسرائيل عيسى عليه السلام، وانتهاءً بخاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل، ونبحث بينهم عن الشخص الذى يصح أن يتخذ أسوةً حسنة لكل الناس فإنا نتبين أن هناك شخصيةً واحدةً فقط هى التى يصح أن تتخذ أسوةً حسنة، وهى شخصية محمد بن عبد الله ﷺ، لأن سيرته عليه الصلاة والسلام وحدها هى الكاملة العلمية العملية التأرخية . إنها سيرةٌ كاملةٌ لأنا نعرف يقيناً كل صغيرةٍ وكبيرةٍ عنه ﷺ لدرجة أنا نعرف أنه عليه الصلاة والسلام توفى وليس فى رأسه ولحيته عشرون شَعْرةً بيضاء[٤] وإنها سيرةٌ عمليةٌ لأنها تصور حياته ﷺ الفعلية حقا، وإنها سيرةٌ علميةٌ لأن القرآن الكريم مصدرها الأول ولأن العلماء الغيورين انكبوا على خدمتها والعناية بها فنفوا عنها كل زيف وميزوا

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .
(٢) سورة الحِجْر الآية ٩ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(٤) الشمائل المحمدية للإمام الترمذى ١٤ والسيرة النبوية د. مصطفى السباعى ١٦ .

الصحيح من أحاديث المصطفى ﷺ من غير الصحيح والصادق من الأخبار من غير الصادق. وإنها تأرخية لأن التأريخ يصدقها فهى قد وصلت إلينا بالتواتر وبالسند المتصل.

وإن من معانى كمال السيرة النبوية المطهرة أن سيرة المصطفى ﷺ تتسع لحياة كل إنسانٍ مهما كان ميدان تخصصه ضيقا. إن حياته ﷺ تتسع لكل إنسانٍ كى يجتهد فى محاكاتها جهد الطاقة وكله أملٌ ورجاءٌ أن يوفقه الله تعالى لمحاكاة ذلك الرسول الكريم فى ذلك الجانب الضيق الذى تخصص فيه من سيرته عليه الصلاة والسلام. كن من شئت وستجد فى المصطفى ﷺ أسوتك الحسنة مصداقاً لقول الحق ووعد الصدق بأن لنا فى رسول الله أسوةً حسنة.

لقد أمرنا الله تعالى بطاعته جل وعلا وطاعة رسوله ﷺ طاعةً مطلقةً كيلا نضل ولا نشقى وقد قال تعالى[١]: ﴿**فإما يأتينكم منى هُدىً فمن اتّبع هداى فلا يضل ولا يشقى**﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، وقرأ هذه الآية[٢] وكما أمرنا الله تعالى بالطاعة أمرنا رسوله ﷺ، فقد خاطب النبى ﷺ المسلمين فى حجة الوداع بقوله[٣]: ﴿**وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه**﴾.

ولا ننسى أن الإسلام قد كفل لغير المسلمين حقوقهم وواجباتهم، وقد قال تعالى[٤]: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾ وقال تعالى[٥]: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون. ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون**﴾.

إن هذه التعاليم السماوية السامية هى التى جعلت الدولة الإسلامية تصل خلال

---

(١) سورة طه الآية ١٢٣ .
(٢) الرسالة التدمرية ٧٥ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (حلبى تصوير بيروت ٤ / ٤٥١) .
(٤) سورة الممتحنة الآية ٨، ٩ .
(٥) سورة المائدة الآية ٥٠ .

ثمانين عاماً فقط إلى قمة لم تدن منها الامبراطورية الرومانية بعد ألف عام[١] هذا إلى أن الحضارة الإسلامية لم تختف لحظةً من اللحظات وإن كانت قد تدحرجت من القمة التى تسنّمتها بسبب مخالفة المسلمين تعاليم دينهم وقد قال تعالى[٢]: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً. يعبدوننى لايُشْرِكون بى شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾.

وإن هذه التعاليم السماوية السامية هى التى جعلت المسلمين حينما كانت لهم الكلمة الأولى فى الدنيا ينصفون الناس قويهم وضعيفهم[٣] وهى التى جعلتهم مثلاً فى التسامح مع أتباع الأديان الأخرى حتى إن واحداً من المؤرخين الغربيين هو «رينو» يقول[٤]: «إن المسلمين فى مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختتنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير» ويقول غوستاف لوبون[٥]: «إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم» وهى التى جعلت زهاء ثلثى العالم الإسلامى يفتحها الإسلام بأخلاق رجاله وسماحة دعاته.

مما سبق يتبين أن صلاح آخر الأمة إنما يكون بما صلح به أولها بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وهكذا يمكن بناء عالمٍ أخوى كما يريده الله تعالى، وذلك بتطبيق تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف المرسلين واتخاذ المصطفى ﷺ أسوةً حسنةً امتثالاً لأمر رب العالمين.

---

(١) انظر الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد ٣٦ .
(٢) سورة النور الآية ٥٥ .
(٣) انظر هنا: من روائع حضارتنا د. مصطفى السباعى ٤٩ .
(٤) من روائع حضارتنا ٩٢ .
(٥) من روائع حضارتنا ٩٤ والسيرة النبوية د. مصطفى السباعى ١٥٥ .

سؤال رقم

11

كيف ينظر الإسلام إلى السلطات السياسية والدينية ؟

لا فصل فى الاسلام بين السلطات السياسية والدينية أو الدنيوية والدينية، لان الحياة الدنيا فى الإسلام دار العمل، ولأن الحياة الآخرة دار الثواب، ولأن مفهوم العبادة فى الإسلام واسعٌ إلى أبعد درجات الاتساع، فكل عملٍ صالحٍ بمقياس الإسلام، مهما كان نوعه، وأريد به وجه الله تعالى، يُعْتَبَرُ داخلاً فى مفهوم العبادة. وإن السلطات السياسية أو الدنيوية تخضع لهذا المقياس، ومن هنا كانت الامانة أحد شرطين مطلوب توافرهما فى القيادة، أما الشرط الآخر فهو شرط القوة أو العلم. جاء فى سورة يوسف[١] النص على شرطى الحفظ بمعنى الامانة، والعلم بمعنى القوة. قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿**قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظٌ عليم**﴾ وجاء فى سورة القصص[٢] النص على شرطى القوة والأمانة على لسان إحدى ابنتى نبى الله شعيب عليه السلام، وذلك فى قوله تعالى: ﴿**قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوىُّ الأمين**﴾.

والأمر الذى نود توكيده هو أن الإسلام لم يعرف الفصام النكد بين الدين والدنيا الذى عرفته أوربا للدرجة التى صرح معها الدين بلسان رؤسائه أنه عدوٌّ للعقل وعدوٌّ لكل ما يثمره النظر[٣] ولا يعترف الإسلام كذلك بما يسمى بالعلمانية أو اللادينية التى تصبغ الحضارة الغربية الرأسمالية بصبغتها، ولا يعترف بالإلحاد الذى يصبغ الشيوعية بصبغته.

والعجيب فى الامر أن الحضارة الغربية بشقيها الغربى والشرقى لا تزداد عن الله تعالى إلا بعداً. لقد استطاعت الفلسفة اليونانية، وهى ليست سوى علم أصنام، أن تسيطر على الفكر اليهودى والمسيحى وأن تخرجه من دائرة التوحيد إلى الوثنية القديمة والإلحاد والإباحة. وقد كان الصراع نكداً بين الدين والعلم إلى أن انتهى الأمر بالدين إلى أن ينزوى فى الكنيسة وبالعلم إلى أن يندفع دون قائدٍ من دين أو كابحٍ من أخلاق. ومن أجل ذلك سيطرت العِلمانية أو اللادينيةً على أوربا وكل الغرب. وكانت العِلْمانية خطوةً نحو الوجودية التى تنكر حاجة البشرية إلى توجيه الدين بالكلية وإلى السخرية بكل القيم المتصلة بالإيمان بالله تعالى. ثم كانت الماركسية اللينينية التى تنكر الألوهية

(١) سورة يوسف الآية ٥٥ .
(٢) سورة القصص الآية ٢٦ .
(٣) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ٣٣ .

والأديان[١] وهكذا يتبين أن الرّأسمالية تلتقى مع الماركسية فى التفسير المادى للتاريخ وفى إنكار البعد الإلهى والبعد الأخلاقى[٢] علماً بأن الماركسية قامت بأخطر دورٍ أخيرٍ لها وهو الحرب على الأديان والأخلاق والنبوات[٣] وإن شعار الشيوعية: لا إله والحياة مادة[٤] يقول جارودى: إن ماركس يتبنى ستار بروميثيوس: أنا ضد كل الآلهة[٥].

وشاء الله سبحانه وتعالى أن تسقط الشيوعية فى لمح البصر وبأسرع مما توقع لها أبغض أعدائها بعد أن ذاق العالم ويلاتها خلال سبعين سنة كانت مليئة بالفواجع والكوارث.

وبسبب سقوط الماركسية وهى الثمرة النكدة للنظام الرأسمالى العلمانى اللاديني والمضادة له يتوقع سقوط الأصل الذى يسمى كذباً بالديمقراطية، لأن الديمقراطية الغربية نسخةٌ من ديمقراطية أثينا التى كانت تقيم العدالة بين السادة وحدهم[٦] ومن عاش فى تلك البلاد عرف يقيناً التفرقة العنصرية والباعث عليها وهو الكبر الزائف، ووهم الدم النقى، وخداع سمو الجنس.

وبسبب هذه الأخطاء الكبيرة والخطيرة التى تعتبر من مقومات الأنظمة السائدة، وهى عللٌ تنبه الى قرب سقوط الحضارة المريضة بها، ربما على غرار سقوط الشيوعية المفاجىء، لا يبقى سوى منهج الله تعالى المتمثل فى دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ وأوحى إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. إن الإسلام هو المنهج الوسط الذى هدانا الله تعالى إليه والذى يجمع أحسن ما يكون الجمع بين الأولى والآخرة، الدنيا والدين، العلم والدين، العقل والدين، الأصالة والمعاصرة، الماضى والحاضر. وهكذا.

مما سبق يتبين أنه لا فرق فى الإسلام بين السلطات السياسية والدينية، أو الدنيوية والدينية. إن كل الأعمال يجب أن تمارس بتوجيهٍ من دين الإسلام الحنيف، وإن رجل الأعمال التى تسمى بالدنيوية يجب أن يتصرف وفق تعاليم الدين، وحينما يريد العامل

---

(١) انظر هنا مستقبل الإسلام للأستاذ أنور الجندى ٣٢ فما بعدها دعوة الحق ١٠٥ .
(٢) مستقبل الإسلام ٣٤ .
(٣) مستقبل الإسلام ١٩ .
(٤) مستقبل الإسلام ٢٢ .
(٥) مستقبل الإسلام ٤٤ .
(٦) انظر مستقبل الإسلام ٣٧ .

بأى عملٍ يقوم به، بما فى ذلك السياسة، وجه ربه الأعلى، بأن يسخر تمكين الله تعالى له فى الارض من أجل خدمة دين الله تعالى الذى بعث به خاتم النبيين وأشرف المرسلين فإن كل عملٍ صالحٍ بمقياس الإسلام يقوم به ومن ورائه ذلك الباعث النبيل، يعتبر عبادةً لله تعالى وحده لا شريك له، بمفهوم العبادة الواسع فى الإسلام. وهكذا يتبين أن كل عملٍ صالحٍ يقوم به المسلم وهو يريد به وجه ربه الأعلى، بما فى ذلك لقمة الطعام التى يضعها المرء فى فم زوجته يعتبر عبادة، كما يتبين أنه لا فصل فى الإسلام ولا فصام فى يقين المسلم بين الحياة الأولى والحياة الآخرة. إن الحياة الأولى حياة الحرث وبذر البذور والزرع، وإن الحياة الآخرة حياة الحصاد وجنى الثمار. ولا تكون الثمار إلا من جنس البذور. وإن للمسلمين أسوةً حسنةً فى المصطفى ﷺ الذى كان رجل الدين ورجل السياسة، وقل الشىء نفسه عن السلف الصالح.

وبناءً على ما سبق نستطيع إجابةً على السؤال: كيف ينظر الإسلام إلى السلطات السياسية والدينية؟ أن نقول: إن الإسلام ينظر إليهما على أنهما وجهان لعملةٍ واحدة.

سؤال رقم

١٢

ما هي صفات الله تعالى في الإسلام ؟

صفات الله تعالى فى الإسلام هى المستفادة من أسماء الله تعالى الحُسْنى. إن الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد، الفرد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، له الكثير من الأسماء. قال تعالى[١]: ﴿**ولله الأسماء الحُسْنَى فادعوه بها وذروا الذين يُلْحِدون فى أسمائه. سيُجْزون ما كانوا يعملون**﴾ والمعنى أن لله تعالى الأسماء الحُسْنى والصفات الأجمل فسموه جل وعلا وادعوه بها. والمعروف أن للذات العلية اسماً واحداً هو: «الله» أما بقية الأسماء فإنها صفات، بدليل أن هذا الاسم هو الذى يوصف بسائر الأسماء ومن ذلك قوله تعالى[٢]: ﴿**هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر. سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحُسْنى. يُسَبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾.

وإذا كان لفظ الجلالة: «الله» هو الاسم لله تعالى الواحد، وكان عظيم الأسماء كذلك، فإن لفظ «الرّحمن» هو عظيم الصفات، جاء فى سورة الإسراء[٣] قوله تعالى: ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحُسْنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا. وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريكٌ فى المُلك ولم يكن له ولىٌّ من الذّل وكبره تكبيرا**﴾.

جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعاً وتسعين اسماً، مائةً إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة. وهو وِتْرٌ يحب الوتر**»[٤] والمراد بالإحصاء حفظها عن ظهر قلب، أو الإحاطة بمعانيها، أو العمل بتلك المعانى[٥] وقد فهم القرطبى من القول: «**وهو وترٌ يحب الوتر**». معنًى أوسع من صلاة الوتر مثلاً. يقول[٦]: «ويظهر لى وجهٌ آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد فيكون المعنى أن الله فى ذاته وكماله وأفعاله واحدٌ ويحب التوحيد. أى أن يوحد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه، فيلتئم أول الحديث وآخره. والله أعلم».

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .
(٢) سورة الحشر الآيات ٢٢ – ٢٤ .
(٣) سورة الإسراء الآية ١١٠، ١١١ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٨ وانظر فتح البارى ١١/ ٢١٤ حديث رقم ٦٤١٠ .
(٥) انظر مثلاً فتح البارى ١١/ ٢٢٥ وتفسير القرطبى ٢٧٦١ .
(٦) نقلاً عن فتح البارى ١١/ ٢٢٧ وانظر تفسير القرطبى ٢٧٦١ .

ويقول ابن كثير[(١)]: «ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة فى تسعةٍ وتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبى سلمة الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: **اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك، ماضٍ فِىَّ حكمك، عدلٌ فِىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همّى، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً.** فقيل: يارسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: **بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها**» ويقول ابن كثير[(٢)] أيضا: «إن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك».

والأصل فى توحيد الأسماء والصفات أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييفٍ ولا تمثيل، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا فى أسمائه ولا فى آياته. فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون فى أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحُسْنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون**﴾[(٣)]. والمعنى اتركوا الذين يميلون عن الحق فى أسمائه حيث اشتقوا منها أسماءً لآلهتهم كاللّات من الله والعُزّى من العزيز ومناة من المنان[(٤)] وقال تعالى[(٥)]: ﴿**إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا. أفمن يُلْقَى فى النار خير أمّن يأتى آمناً يوم القيامة. اعملوا ما شئتم**﴾. الآية. فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل. كما قال تعالى[(٦)]: ﴿**ليس كمثله شىءٌ وهو السميع البصير**﴾. ففى قوله: ﴿**ليس كمثله**

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٩.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢١.
(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٤.
(٤) الجلالين وتفسير الطبرى ٩/ ٩١ وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٩ وتفسير القرطبى ٢٧٦٤.
(٥) سورة فصلت الآية ٤٠.
(٦) سورة الشورى الآية ١١.

شىء﴾، رد للتشبيه والتمثيل، وفى قوله: ﴿**وهو السميع البصير**﴾، ردٌّ للإلحاد والتعطيل[١] ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى[٢] ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾، قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان[٣].

(١) الرسالة التدمرية ٤ .
(٢) سورة طه ٥ .
(٣) الرسالة التدمرية ٣٥ .

سؤال رقم

١٣

كيف ترون مستقبل الإسلام ؟

نرى مستقبل الإسلام باهراً بإذن الله تعالى مصداقاً لقول الحق جل وعلا فى محكم كتابه[١]: ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ وقوله تعالى[٢]: ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا**﴾ إن وعد الله حقٌّ وصدق، وإن لله سبحانه وتعالى قوانين ونواميس بّينها كلٌّ من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وهى قوانين لا تحابى أحداً ولا تجامله. وإن من أكثر آيات الذكر الحكيم تبييناً لهذه القوانين، وتوضيحاً لهذه النواميس قوله عز من قائل فى سورة النور[٣]: ﴿**وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا. يعبدوننى لا يشركون بى شيئا. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾ وقوله تعالى فى سورة الرعد[٤]: ﴿**له معقباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ**﴾. ومعنى آية سورة الرعد أن للعبد جماعاتٍ من الملائكة تعتقب فى حفظه وكلاءته. والأصل معتقبات، فأدغمت التاء فى القاف، كقوله: وجاء المعذرون، بمعنى المعتذرون[٥] وسميت الملائكة معقبات لأن بعضهم يعقب بعضاً، أو لأنهم يعقبون ما يتكلمون به فيكتبونه[٦] فالمراد أن العبد له ملائكةٌ يتعاقبون عليه، حرسٌ بالليل وحرسٌ بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكةٌ آخرون لحفظ الأعمال من خيرٍ أو شر. ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار. فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات. وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدٌ من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاكٍ بالنهار وأربعةٍ آخرين بالليل **بدلا**، حافظان وكاتبان، كما جاء فى الصحيح: يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالّليل وملائكةٌ بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: أتيناهم وهم

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ والصف الآية ٩ .
(٢) سورة الفتح الآية ٢٨ .
(٣) سورة النور الآية ٥٥ .
(٤) سورة الرعد الآية ١١ .
(٥) الكشاف ٢/ ١٦٠ .
(٦) البحر المحيط ٥/ ٣٧١ .

يصلون وتركناهم وهم يصلون[١] وتبين الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى لا يغير نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بأن يبدلوا نعمة الله تعالى كفراً، كما تقرر أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بقوم سوءاً من هزيمةٍ أو مرضٍ أو فقرٍ وما إلى ذلك فلا مرد له وما لهم من دونه جل وعلاً من وال يلى أمرهم ويدفع عنهم[٢] وهذه الجزئية فى الآية الكريمة: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** تبينها هذه الآية الكريمة من سورة الأنفال[٣] قال تعالى: **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميعٌ عليم﴾**.

وحينما يبدل أى قوم نعمة الله تعالى كفراً ويسلبهم الله تعالى تلك النعمة فذلك معناه أنهم إن أرادوا أن تعود إليهم بإذن الله تعالى تلك النعمة أن يعودوا إلى الله تعالى. وبقدر العودة إلى الله تعالى وتطبيق منهجه فى الأرض يكون بإذن الله تعالى عزهم ومجدهم وسؤددهم[٤].

وقد قال النبى ﷺ فى الأحاديث الصحيحة: **خير القرون القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**[٥].

ونود أن نلقى نظرةً خاطفةً على أهم معالم تاريخ هذه الأمة المسلمة التى أراد الله تعالى لها أن تكون خير أمةٍ أخرجت للناس.

ولد المصطفى ﷺ صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من إبريل سنة ٥٧١ من الميلاد. وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل[٦] التى نزلت فيها سورة الفيل[٧].

ولما بلغ عليه الصلاة والسلام سن الكمال وهى أربعون سنةً أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم وكان ذلك فى أول فبراير سنة ٦١٠ من الميلاد كما أوضحه محمود باشا الفلكى. تبين بعد دقة البحث أن ذلك كان فى

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٣.
(٢) الكشاف ٢/ ١٦١.
(٣) سورة الأنفال الآية ٥٣.
(٤) بينا هذه المعانى فى شىءٍ من البسط فى كتابنا تأملات فى سورة الرعد ٨٣ فما بعدها.
(٥) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٧٤.
(٦) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ١٠.
(٧) السورة رقم ١٠٥ من المصحف الشريف.

١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة وذلك يوافق يوليو سنة ٦١٠م[١].

مكث المصطفى ﷺ فى مكة المكرمة يدعو قومه إلى دين الله تعالى ثلاث عشرة سنةً قبل الهجرة. ومن الغريب المدهش الذى لا يُقْضى منه العجب أنه ما أسلم فى ثلاثة عشر عاماً إلا زهاء ثلاثمائة شخص[٢].

بسبب أذى قريش الشديد للمسلمين أمرهم المصطفى ﷺ بالهجرة إلى الحبشة مرتين اثنتين ثم أمرهم بالهجرة إلى المدينة المنورة التى كانت تعرف آنذاك باسم يثرب، ثم أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة. وقد وصل النبى ﷺ إلى قباء، إحدى ضواحى المدينة المنورة وعلى بعد زهاء ميلين اثنين من مسجده عليه الصلاة والسلام بها، فى اليوم الثانى من ربيع الأول الذى يوافق ٢٠ سبتمبر ٦٢٢م[٣].

محمد بن عبد الله ﷺ هو النبى الوحيد الذى اقترنت دولته بدعوته. فقد أسس عليه الصلاة والسلام دولته منذ أن وصل إلى المدينة المنورة مهاجراً. وكانت حدود هذه الدولة الفتية هى حدود العاصمة يثرب، ولم يلحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى بعد عشر سنواتٍ من الهجرة حتى كانت دولته عليه الصلاة تغطى شبه جزيرة العرب، أكبر شبه جزيرة فى الدنيا، هذا إلى تحول سكان هذه الدولة أو شبه الجزيرة من الإشراك مع الله تعالى غيره إلى التوحيد. وكانت وفاته ﷺ ضحى يوم الاثنين ١٣ ربيع أول سنة ١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٣ فيكون عمره عليه الصلاة والسلام ٦٣ سنة قمريةً كاملة، وثلاثة أيام، وإحدى وستين شمسية وأربعةً وثمانين يوما[٤].

لم يؤذن للمسلمين بالقتال طوال الفترة المكية وقد قيل لهم حينما طلبوا الإذن بالقتال[٥]: ﴿**كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾.

أذن لرسول الله ﷺ فى القتال لاثنتى عشرة ليلةً خلت من شهر صفر فى السنة الثانية من الهجرة[٦] وذلك فى قوله تعالى من سورة الحج[٧]: ﴿**أُذِن للذين يقاتلون بأنهم**

---

(١) نور اليقين ٣١ .
(٢) انظر نظرية الإسلام وهديه لأبى الأعلى المودودى ١٢٥ .
(٣) نور اليقين ٩٥ .
(٤) نور اليقين ٢٩٨ .
(٥) سورة النساء الآية ٧٧ .
(٦) نور اليقين ١١٢ هامش ٧٦ .
(٧) سورة الحج الآيات من ٣٩ - ٤١ .

ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أُخْرِجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعضٍ لهُدمت صوامع وبيعٌ وصلواتٌ ومساجد يُذْكر فيها اسم الله كثيراً. وليَنْصُرَنَّ الله من ينصره. إن الله لقوىٌ عزيز. الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. ولله عاقبة الأمور﴾.

بلغ عدد الغزوات التى باشرها المصطفى ﷺ بذاته الشريفة سبعاً وعشرين غزوة، وبلغ عدد البعوث والسرايا ستين بعثاً وسرية[١].

غزوة تبوك آخر غزواته ﷺ وكانت فى رجب سنة تسع للهجرة[٢] ويقال فى سبب هذه الغزوة إن رسول الله ﷺ اتصل به نبأ تهيؤ الروم لغزو حدود العرب الشمالية[٣] فخرج رسول الله ﷺ فى ثلاثين ألفاً من الناس من المدينة إلى تبوك، وكان أكبر جيشٍ خرج به فى غزوة[٤] وكان أعظم ما رأته العرب حتى ذاك، ومعه ﷺ من الخيل عشرة آلاف[٥] وكان خروج النبى ﷺ إلى تبوك يريد هرقل والروم بعد مضى عامين اثنين فقط على انتصار هرقل الرائع وجيوش الروم على الفرس سنة سبعٍ للهجرة[٦].

لم يمض على وفاة المصطفى ﷺ مائة وثمانية عشر عاماً حتى كانت راية الإسلام، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، عاليةً خفاقة على حدود الدولة الإسلامية التى تمتد دون انقطاع من حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غربا[٧].

الإسلام دين العلم، فليس ثمة دين حث على التعلم كالإسلام[٨] يبدو ذلك من تأمل أول ما نزل من القرآن الكريم. قال تعالى[٩]: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾**.

---

(١) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ٣١٥.
(٢) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ٣١٥.
(٣) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ٣٠٥.
(٤) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ٣٠٩ وانظر ص ١١٠ من السيرة النبوية، دروسٌ وعبر للدكتور مصطفى السباعى.
(٥) السيرة النبوية، دروسٌ وعبر. د. مصطفى السباعى ١١١.
(٦) انظر السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ٣٠٥.
(٧) انظر هنا الإسلام قوة الغد العالمية ٣٦ تأليف باول شمتز ترجمة د. محمد شامة القاهرة المحرم سنة ١٣٩٤هـ يناير ١٩٧٤م الناشر مكتبة وهبه.
(٨) انظر هنا الإسلام على مفترق الطرق ٧٠ تأليف محمد أسد ترجمة د. عمر فروخ.
(٩) سورة العلق الآيات من ١ – ٥.

كما يبدو من الوقوف على أن أول قَسَم فى القرآن الكريم كان بالقلم. قال تعالى[١]: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ هذا الى أنّ لفظ العلم ومشتقّات هذا اللفظ جاء فى القرآن الكريم فيما يزيد على الثمانمائة موضع. وكانت نتيجة العناية الفائقة بالعلم فى الإسلام أن قفزت الأمة الإسلامية درجات سلم الحضارة، فوصلت خلال ثمانين سنةً فقط إلى قمةٍ من الحضارة سامقة تفوق سناً وسناءً القمة التى انتهت إليها الحضارة الرومانية خلال ألف عام[٢] هذا إلى أن الحضارة الرومانية غدت أثراً بعد عين خلال قرنٍ واحدٍ من الزمان على حين احتاجت الدولة الإسلامية ألفاً ومائتى عام كى تسقط الخلافة العثمانية[٣] هذا إلى أن الوجه المشرق للحضارة الإسلامية لم يختف لحظةً من اللحظات، فلا يكاد يأفل نجم حتى يبزغ نجمٌ جديد، هذا إلى أن الأمل كبيرٌ فى الله تعالى أن يبزغ النجم الآفل من جديد. إن الأندلس، فردوس المسلمين المفقود حينما سقطت كان الإسلام فى تلك الأثناء يفتح بلاداً جديدةً فى جنوب شرقىّ آسيا. وإن فلسطين حينما سقطت ولدت دولة الباكستان الفتية. وهكذا.

عصفت بالأمة الإسلامية الكثير من الأعاصير، وقد نجت منها جميعاً بفضل الله تعالى، وهذا مؤشرٌ على نجاتها بإذن الله تعالى من كل الأعاصير فى الحال والمآل. ومن أعتى تلك الأعاصير الحروب الصليبية التى توجت بانتصار السلطان صلاح الدين الأيوبى على جيوش الصليبيين فى معركة حطين وبعد ثلاثة أشهر فتح الله تعالى على يد صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس وكان دخول صلاح الدين والمسلمين إليها فى يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من شهر رجب[٤] سنة ٥٨٣هـ الليلة الثانية من أكتوبر سنة ١١٨٧م[٥] ومن أعتى الأعاصير جيش التتار الذى دمر بغداد سنة ٦٥٦هـ والذى كان يقال عن وحشية أفراده: إن قيل لك إن التتار انهزموا فلا تصدق. لقد غدا التتار أثراً بعد عين بعد أن انتصر عليهم سيف الدين السلطان قطز بن عبد الله المعزى فى معركة عين جالوت بفلسطين سنة ٦٥٨هـ[٦].

تمر الأمة الإسلامية حالياً بفترةٍ عصيبةٍ شبيهةٍ بفترة الحروب الصليبية. لقد نصر

(١) سورة القلم الآية ١.
(٢) انظر الإسلام على مفترق الطرق ٣٦.
(٣) انظر الإسلام على مفترق الطرق ٣٧.
(٤) معارك حول القدس د. محمد ضياء الدين الريس ٢٩ هدية من مجلة الأزهر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
(٥) صلاح الدين الأيوبى د. جمال الدين الرمادى ٣٤ كتاب الشعب مصر ١٩٥٨م.
(٦) انظر الأعلام للزركلى. المظفر قطز ٥/ ٢٠١.

الله تعالى المسلمين حينما تابوا إلى الله تعالى توبةً نصوحاً وآبوا إليه جل وعلا: ﴿**وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه**﴾[(١)] . وبإذن الله تعالى سيسلك المسلمون هذه السبيل، وسيعودون إلى الله تعالى عاجلاً أو آجلا، طائعين أو مرغمين. وقد قال تعالى[(٢)]: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ وقال تعالى[(٣)]: ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله واسعٌ عليم**﴾.

أكرم الله تعالى الأمة الاسلامية بكل مقومات العزة والسؤدد، فعليها أن تعود إلى الله تعالى وان تقوم بما يجب عليها من شكر لله تعالى على نعمه العظيمة عليها وآلائه الجسيمة التي ليست لأي أمةٍ من أمم الارض اليوم وبالأمس وغداً. ويأتي على رأس هذه النعم العقيدة النقية الصافية. ومن هذه النعم وفرة العدد والخصوبة البشرية ووفرة المواد الخام والطاقة والموقع الجغرافي المتميز[(٤)].

إن كلّ ما يحتاج إليه العالم الاسلامي تجهيزٌ علميٌّ فني[(٥)].

سيكون مستقبل الإسلام باهراً بإذن الله تعالى حينما يعود المسلمون بصدقٍ إلى بارئهم جل وعلا وحينما يعملون بما علموا فى القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وحينما يعون ويترجمون إلى عمل معنى مِثْل قوله تعالى[(٦)]: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا. يعبدوننى لا يشركون بى شيئا. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾. ومِثْلِ قوله تعالى[(٧)]: ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ ومثل قوله تعالى[(٨)]: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل تُرْهِبون به عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين**

(١) سورة التوبة الآية ١١٨ .
(٢) سورة محمد ﷺ الآية ٣٨ .
(٣) سورة المائدة الآية ٥٣ .
(٤) انظر الإسلام قوة الغد العالمية الصفحات ٤٤، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٧٧، ١١٦ والباب الرابع: أسس القوة النامية فى العالم الإسلامى ١٧٩ - ٢١٤ .
(٥) الإسلام على مفترق الطرق ٧٤ .
(٦) سورة النور الآية ٥٥ .
(٧) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(٨) سورة الأنفال ٦٠ .

من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. وما تنفقوا من شىءٍ فى سبيل الله يُوَفّ إليكم وأنتم لا تُظْلَمون﴾.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

مستعيناً بالله تعالى متوكلاً عليه جل وعلا وحده لا شريك له حاولت فى الصفحات السابقة أن أجيب - جهد الطاقة - على الأسئلة التى ألقاها أحد القسس على أحد الدعاة إلى دين الإسلام دين الحق الذى وعد الله تعالى - ووعده الحق - بأن يظهره على الدين كله. وكفى بالله تعالى شهيدا. والله سبحانه وتعالى أسأل أن أكون قد وفقت فى هذه الاجابة سائلاً الله تعالى أن ينفع بها وأن يتقبلها إنه جل وعلا أعظم مسئول وأكرم مأمول.

ولما كان كثيرٌ من الأجوبة يعتمد على النقل لا العقل فقد كنت حريصاً على أن أنسب كل اقتباسٍ إلى موضعه، وكل فضلٍ إلى صاحبه: ﴿**وما توفيقى إلا بالله. عليه توكلت وإليه أنيب**﴾[1].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

---

(١) سورة هود الآية ٨٨.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) الرسالة التدمرية. القاهرة ١٣٨٧هـ نشرها قصى محب الدين الخطيب. الرسالة القبرصية. تحقيق على السيد صبح المدنى. نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. بدون تاريخ. وطبعة مطبعة المدنى بمصر ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. تحقيق د. صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ١٩٧٦ - ١٣٩٦ الطبعة الأولى.

ابن حجر (الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى) فتح البارى بشرح صحيح البخارى. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقى، محب الدين الخطيب المكتبة السلفية.

ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسى) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز. تحقيق وتعليق الرحالى الفاروقى، عبد الله بن إبراهيم الأنصارى، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعى صادق العناتى. الطبعة الأولى قطر ١٣٩٨هـ ١٩٧٧م.

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م حلبى مصر.

ابن القيم (محمد بن أبى بكر) زاد المعاد فى هدى خير العباد. مصطفى البابى الحلبى. مصر ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى. مكة المكرمة. مؤسسة مكة للطباعة والنشر. من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ رقم (٢).

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم. دار إحياء التراث العربى بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م ودار المعرفة. بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبيارى، عبد الحفيظ شلبى. تصوير دار إحياء التراث العربى. بيروت. لبنان ١٩٨٥م.

أبو حيان (محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان) البحر المحيط. بيروت. تصوير. بدون تاريخ.

أسد (محمد) الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة وتعليق الدكتور عمر فروخ الطبعة السابعة ١٩٧١م بيروت.

الأصفهانى (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى) المفردات فى غريب القرآن. تحقيق محمد سيد الكيلانى. دار المعرفة. بيروت. لبنان. بدون تاريخ.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرّم) لسان العرب. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

باجوده (د. حسن محمد) تأملات فى سورة الرعد القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تأملات فى سورة الفرقان القاهرة ١٩٧٧م تأملات فى سورة محمد ﷺ القاهرة ١٩٨٠م.

البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) كتاب الصحيح. كتاب الشعب ١٣٧٨هـ.

الترمذى (أبو عيسى محمد بن سورة) الشمائل المحمدية. إخراج وتعليق محمد عفيف الزعبى. الطبعة الأولى. جده. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الجندى (أنور) مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية دعوة الحق. رابطة العالم الإسلامى. مكة المكرمة. السنة التاسعة. العدد ١٠٥ عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

الخضرى (محمد) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين. الطبعة الثانية. دار المعارف للطباعة. بدون تاريخ.

الرّمادى (د. جمال الدين) صلاح الدين الأيوبى. كتاب الشعب ٢٥ مطابع الشعب ١٩٥٨م.

الريس (د. محمد ضياء الدين) معارك حول القدس. مجمع البحوث الإسلامية. رجب ١٣٩٢هـ أغسطس ١٩٧٢م.

الزركلى (خير الدين) الأعلام. الطبعة الخامسة. بيروت ١٩٨٠م.

الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى) الكشاف مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

السباعى (د. مصطفى) السيرة النبوية. دروسٌ وعبر. مطبوعات المكتب الإسلامى. دمشق وبيروت. وتوزيع المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية. الدوحة. قطر ١٤٠٠هـ من روائع حضارتنا مطبوعات المكتب الإسلامى. دمشق. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

السموءل (بن يحيى المغربى) إفحام اليهود تقديم تحقيق تعليق د. محمد عبد الله الشرقاوى. طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٧هـ.

السيوطى (جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى) تفسير الجلالين.

الشرباصى (د. أحمد) أدب الأحاديث القدسية. الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م مطابع دار الشعب القاهرة.

شمتز (باول) الإسلام قوة الغد العالمية. ترجمة الدكتور محمد شامة القاهرة ١٩٧٤م.

طبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) جامع البيان فى تفسير القرآن. الطبعة الأولى. بولاق ١٣٢٩هـ.

عبده (الشيخ محمد) رسالة التوحيد. الطبعة السابعة عشرة. ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م وطبعة دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٧٧م.

مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيرىّ) كتاب الصّحيح بشرح النّووىّ. المطبعة المصرية ومكتبتها.

المودودى (أبو الأعلى) نظرية الإسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور. بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

الندوى (أبو الحسن على الحسنى الندوى) السيرة النبوية. الطبعة الأولى. دار الشروق جدة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. الطبعة الثالثة. القاهرة. ١٩٥٩م - ١٣٧٩هـ.

النووى (يحى بن شرف) متن الأربعين النووية ألمانيا الغربية ١٩٧٦م.

فهرست الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة